القـرآن الكريم أعجوبة في لغته وأساليبه

عبد القادر منصور[1]

الديباجة

بسم الله الرحمن الرحيم ،والحمد لله، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه؛ أمَّا بعد:

فهذه دراسة قرآنية جديدة في أداء القراءات العشر-أسلوباً وألفاظاً-ذلك؛ أنني وجدت ضرورة ملحة، أن تعرف حقيقة مخرج الحرف العربي وطريقة خروجه، والمؤثرات الصوتية حالة تفرده ، وحالة احتكاكه مع حرف آخر، إذ ما من لغة من اللغات، إلاَّ تخضع لمنظومة صوتية ، بهذا كله، تختلف عن غيرها -مخرجاً، وصفةً، وسبيلاً.

وتوطئة لسير البحث، فقد صدرته بمحور التنزيل-بدأ ونهاية-على حيثية النزول الأولي لكتاب الله المجيد، وحكاية التعامل المحمدي مع المتنزل الأول (اقرأ)!.بغار حراء، ففيه من الحكم ما فيه!!!. فسقت حديثه، وما أحيط به من مواقف لشخصيات، هي أساس في قلب الحدث. فنبي مرسل خاتَم؛ اسمه محمد(ﷺ). وعالم نبيه فطن، اسمه **(ورقة**[2]**)**.وجبريل الأمين الذي فجر بطلقة**(اقرأ)**، كثافة

---

[1] الدكتور، "أستاذ القرآن وعلومه، بـ(كلية الإلهيـات) "بجامعة عثمان غازي، تركيا – إسكي شهير"

[2] **ورقة بن نوفل(12 ق هـ= 611 م)**بن أسد بن عبد العزي ،من قريش: حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام ، وامتنع من أكل ذبائحها، وتنصر، وقرأ كتب الأديان. وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني. أدرك أوائل عصر النبوة ، ولم يدرك الدعوة . وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين. ولورقة شعر سلك فيه مسلك الحكماء. الروض الأنف 1: 124 - 127، 156، 157وصحيح البخاري 1: 4، 5 . وصحيح مسلم، 1: 141، 142 والإصابة : ت 9133 -سئل النبي(ﷺ)عن ورقة، فقال: **" يبعث يوم القيامة أمة**

ظلمات الجهل المتراكمة، وغلظة الغشاوة الفكرية، والعقدية، المترامية عبر قرون من الفترة ما بين عيسى المسيح، وبين خاتم النبيين محمد(ε). وامرأة ملهمة عظيمة-هي زوجه-واسمها(خديجة[3])....

ثم عرجت، وعجت طويلاً، عند اللغة التي شرفها الله بنزول الوحي، وفق مفرداتها -صيغةً، وأسلوباً. وهوية اللسان الذي نزل به ، ثم جلَّيْت السمات اللغوية والبلاغية التي اصطبغتها بمنح ربانية- تأهيلا لها أن تكون الحامل لرسالة الوحي الإلهي الخاتم.

فهم ينجلي:

ثم انجلى لي-بعدُ-فهم من قوله تعالى:{**قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ[4]**}: أن العوج: هو كل ما سوى لسان القرآن، وتشريعه. وأن إضافته-هنا - كانت لغرض حكيم رصين . فقد جاء في التفسير: أي: ليس فيه تضادّ، ولا اختلاف، ولا عيب من العيوب، التي في كلام البشر[5]. وعن عثمان بن عفان، قال:" أي: غير مضطرب، ولا متناقض، وما قيل: أي: غير ذي لحن[6]. وقال ابن كثير: أي: **هو قرآن بلسان عربي مبين، لا اعوجاج فيه، ولا انحراف، ولا لبس؛ بل هو**

وحده ! ". ونصه: "يبعث يوم القيامة أمة وحده، بيني وبين عيسى" أخرجه أحمد (1648)والطبراني(350)قال الهيثمي(417/9): إسناده حسن.

[3] **أم المؤمنين(68 - 3 ق هـ = 556 - 620 م)** خديجة بنت خويلد من قريش: زوجة رسول الله(ع) الأولى، وكانت أسن منه ب(15) سنة. ولدت بمكة، ونشأت في بيت شرف ويسار، وكانت ذات مال كثير ،وتجارة تبعث بها إلى الشام، تستأجر الرجال، وتدفع المال مضاربة. فلما بلغ رسول الله(ع)الخامسة والعشرين خرج في تجارة لها إلى سوق بصرى بـ (حوران)وعاد رابحا، فدست له من عرض عليه الزواج بها، فأجاب، فأرسلت إلى عمها(عمرو بن أسعد بن عبد العزى) فحضر وتزوجها رسول الله(قبل النبوة) فولدت له القاسم(وكان يكنى به)وعبد الله(وهو الطاهر والطيب) وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. وكان بين كل ولدين سنة. ولما بعث رسول الله(ع)دعاها إلى الإسلام، فكانت أول من أسلم من الرجال والنساء. ومكثا يصليان سرا إلى أن ظهرت الدعوة. وكانت وفاة خديجة بمكة.- الأعلام للزركلي(2/ 302) طبقات ابن سعد 8: 7 - 11 والإصابة، وصفة الصفوة 2: 2

[4] [الزمر:28]

[5] التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (1 / 1837)

[6] تفسير الألوسي (17 / 462)

بيان، ووضوح، وبرهان[7]".

وسنرى عند المقارنة بين لغة القرآن القرشية، واللهجات العربية، في عدد من الحروف – مخرجا، وصفة ، وتضاداً، وانحرافاً ،واضطراباً. لذلك، كان لا بد من مقارنة فنية، بين لسان القرآن القرشي، ولهجات قبائل عربية أخرى، هي معتبرة في البيان والتفاصح؛ حتى يظهر الفرق بين الأصوات ، والمخارج، والصفات؛ حتى يستقيم اللسان في القراءة القرآنية، ويجافي العوج. إذ ليس الأمر هينا، فهو على محك الخطر في التحريف، والعبث في كلام الله سبحانه، ما من شأنه أن يقف العجم على عظمة اللسان القرآني، وتنأى الشبهات حول القراءة وفق التنزيل الرباني-كما أخذت بالسند المتصل عن المتلقي الأول سيدنا محمد(ε) عن جبريل، عن رب العزة والجلال.

منظومة أدائية بديعة:

وثمة حقيقة ظاهرة؛ وهي: أن قراءة الحرف القرآني ، يخضع لمنظومة أدائية في الصوت، يشق على المتلقي أداءها، وما سوى العرب ؛ لأشد مشقة، وعُسراً؛ لأن القرآن نزل بأداء صوتي متكامل ومتفرد ، يجعل قارئه مستقيم اللسان فصيحاً. وصدق رسول الله(ε)-حين عمم بإشارته، ولم يجعل فرقا بين

[7] تفسير ابن كثير (7 / 96)

العربي والعجمي-حين قال:" المَاهِرُ بالقرآنِ مع السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ[8]. والذي يقرأ القرآن، ويَتَتَعْتَعُ فيه-وهو عليه شاق- له أجران[9] ".

ذلك، أن المخارج والصفات ، التي اصطبغت بها حروف القرآن ، دونها سائر اللهجات العربية – دقةً وتكاملاً. ولما كان أئمتنا يلقون علينا هذا الحديث، كنا نظن -نحن العرب-أننا المخاطبون فقط، وحين صرنا نُقرئ غير العرب، وقوبل اللسانان-العربي والعجمي- وفق المخارج الصوتية، انجلى لنا فحوى الخطاب ، وأن الصعوبة في إخراج الحرف من مخرجه، ليس مقصورا على العرب فحسب؛ وإنما هم، والعجم سواء في تعاطيه ، وأنه كلما كان إخراج الحرف القرآني من مخرجه عسيراً أكثر ، كان الثواب أكثر . وبهذا الهدي النبوي، تجلت عظمة الخطاب بوحي السنة الشريفة. والله أسأل؛ أن تكون ذخراً لي يوم الدين؛ وينتفع به مطالعه ودارسه. آمين. حررت، بتاريخ:/ **2014/6/3**/ ميلادية./**1435/7/5**/ هجرية.

---

[8] الماهر: الحاذق بالشيء العارف به.(السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ): يريد الملائكة. والسفرة: جمع سافر. ككاتب وكتبة. والسافر: الرسول. والسفرة : الرسل. لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله. سُموا بذلك، لأنهم ينزلون بوحي الله، وما يقع به الصلاح بين الناس. فشبهوا بالسفير الذى يصلح بين الرجلين. والكرام: جمع الكريم. أي: المكرمين على الله المقربين عنده، لعصمتهم، ونزاهتهم عن دنس المعصية. والمخالفة. والبررة: جمع البار. وهم المطيعون من البر. وهو الطاعة. تحفة الأحوذي(15/ 193) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض (3/ 95)

[9] صحيح: أخرجه أحمد(48/6) ومسلم (195/2)وابن ماجه(3779) والنسائي في «فضائل القرآن» (70). وفي رواية: "**وَهُوَ يُتَعْتِعُ فِيهِ**". مستخرج أبي عوانة ط الجامعة الإسلامية (11/ 42) مسلم في صحيحه، 1/ 551 ح 244مسند أبي عوانة (4/ 433) ويتتعتع فيه: أي: يتردد في تلاوته عِيًّا، وصعوبة. والتعتعة في الكلام: العي، والتردد فيه. وأصل التعتعة: الحركة. والتعتعة في الكلام: العيُّ. وإنما كان له أجران؛ من حيث التلاوة ؛ ومن حيث المشقة. المفهم (7/ 58)

القـرآن كلام عجب

العَجَب والتعجب: حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء[10]. أو العجب: **"إنكار ما يرد عليك، لقلة اعتياده**[11] **"**. والعجب، جمعه إعجاب. قال:**(يا عجباً للدهر ذي الإعجاب).** ويقال: عجب، وتعجب، واستعجب. والاسم: العجيبة، والأعجوبة. والتعاجيب: العجائب لا واحد لها. [وأعجبه الأمر]: حمله على العجب منه[12]. وأمر عجيب، وعجب، وعجاب. وعجبٌ عاجبٌ، وعجيبٌ عجابٌ: على المبالغة. وأمر عجيب معجب[13].

ويقولون: **" يَا لِلْعَجَب! "** . معناه: يَا قوم تعالوا إِلَى العجب، ولِلْعجب أدعو. فهذه لام التعجب- كقوله: (لله درُّهُ). وقد تجتمع التي للنداء والتي للتعجب- كما قال الشاعر: [من المتقارب]:**(ألا يا لَقَوْمِي لطَيْفِ الخيالِ).**

وعجب: مصدر يوضع موضع العجيب. وفيه مبالغة؛ وهو: **"ما خرج عن حد أشكاله، ونظائره**[14]**"**. ومن ثم قال الله يحكي مقولة الكافرين: **{وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**[15]**}**. أَي: عجب. وَعَجِيب، وعجاب، بِمَعْنى وَاحِد. وَقَرَأَ أَبُو عبد الرَّحْمَن السّلمِيّ: **" إِن هَذَا لشَيْء عُجَّاب". وَهُوَ بِمَعْنى الأول**[16].

---

[10] التعاريف (504)

[11] الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها (75) فقه اللغة وسر العربية (245)

[12] ويقال: **ثمرة العجب المقتُ** .أي من أعجب بنفسه مقته الناس. والعجبُ بالنفس: التكبر والترفع. اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل (271) والفرق بين العجب والكبر: أن العجب بالشيء: شدة السرور به حتى لا يعادله شيء عند صاحبه. تقول هو معجب بفلانة :إذا كان شديد السرور بها. وهو معجب بنفسه: إذا كان مسرورا بخصالها. ولهذا يقال: أعجبه- كما يقال :سر به. فليس العجب من الكبر في شيء. الفروق اللغوية (ص: 352)

[13] إيضاح شواهد الإيضاح (1/ 400)

[14] الكشاف (7/ 151)

[15] [ص]:[4: 5]

[16] تفسير السمعاني (4/ 425)

كقوله تعالى{ **مَكْراً كُبَّاراً** }وهو أبلغ من المخفف. وعُجابٌ أي: بليغ في العجب. ونظيره: كريم وكرام[17].

روي: أنّ إسلام عمر-رضى الله تعالى عنه- فرح به المؤمنون فرحا شديدا، وشق على قريش، وبلغ منهم، فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم، ومشوا إلى أبي طالب، وقالوا: "أنت شيخنا وكبيرنا ، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء- يريدون: الذين دخلوا في الإسلام- وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك"

فاستحضر أبو طالب رسول الله[ε] وقال:" يا ابن أخي، هؤلاء قومك يسألونك السؤال، فلا تمل كل الميل على قومك".

فقال رسول الله [ε]:" ماذا يسألونني؟"

قالوا:" : أُرْفُضْنَا وارفض ذكر آلهتنا، وَنَدَعك وَإِلَهك "

فقال [ε]: "أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم؟ أمُعْطيّ أَنْتُم كلمة وَاحِدَة ،تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم؟"

فقال أَبُو جهل: : "لله أَبوك نعَمْ , وَعشرا مَعهَا. " أي: نعطيكها وعشر كلمات معها.

فقال:" قولوا لا إله إلا الله"

فنفروا مِنْهَا وَقَامُوا وَقَالُوا:{أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لشَيْء عُجاب}. وَانْطَلَقُوا وهم يَقُولُونَ: **[من علم: أَن نبيًّا يخرج فِي زَمَاننَا هَذَا؟]**[18].

الجن عجبوا:

والجن أحد الثقلين المكلفون كما الإنس:**{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ}**[الأحقاف: 29].

---

[17] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 73)

[18] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 72) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (4/ 82)

مَعْنَاهُ: وجهنا وُجُوههم إِلَيْك. وَأما سَبَب نزُول الْآيَة: وَهُوَ أَن النَّبِي لما دَعَا كفار مَكَّة إِلَى الْإِسْلَام وأبوا أَن يسلمُوا خرج إِلَى الطَّائِف لِيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَان، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى مَكَّة وَكَانَ بِبَطن نَخْلَة، مر عَلَيْهِ أَشْرَاف من جن نَصِيبين وَهُوَ يُصَلِّي صَلَاة الصُّبْح.

وَيُقَال: إِنَّهُم رَأَوْهُ بِبَطن نَخْلَة وَهُوَ عَامِد إِلَى عكاظ. واختلفوا فِي عَددهمْ، فَقَالَ بَعضهم: كَانُوا سَبْعَة نفر. وَقَالَ بَعضهم: كَانُوا تِسْعَة نفر. وَيُقَال: كَانَ فيهم زَوْبَعَة[19]. فَلَمَّا سمعُوا قِرَاءَة النَّبِي اجْتَمعُوا لسماعه. وَفِي التَّفْسِير أَيْضا: أَن الْجِنّ كَانُوا يَسْتَمِعُون إِلَى السَّمَاء قبل زمَان النَّبِي؛ فَلَمَّا كَانَ زمَان النَّبِي رموا بِالشُّهُبِ، فَاجْتمعُوا وَقَالُوا:

" مَا هَذَا إِلَّا لأمر حدث فِي الأَرْض".

فَضربُوا فِي الأَرْض يَمِينا وَشمَالًا حَتَّى وجدوا النَّبِي بِبَطن نَخْلَة يُصَلِّي، وَيقْرَأ الْقُرْآن وَحَوله الْمَلَائِكَة يحرسونه؛ فعرفوا: **أَن مَا حدث من الأَمر كَانَ لأَجله [20]".**

وجاء الأمر للنبي[ε] بإعلان الحدث. قال تعالى:**{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا[21]}. و{عَجَبًا}:**عجيب مدهش لفصاحته، ومعناه[22]، بديعاً مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه، وصحة معانيه. قائمة فيه دلائل الإعجاز. وعجب: مصدر يوضع موضع العجيب. وفيه مبالغة؛ وهو:

"ما خرج عن حد أشكاله، ونظائره[23]".

---

[19] وَقد ذكر فِي أسمائهم(حسى ومسى ويسى وشاصر وناصر) وَالله أعلم.

[20] تفسير السمعاني (5/ 162)

[21][الجن: 1]

[22]تفسير كلمات القرآن محمد غازي الدروبي (22/ 1)

[23] الكشاف (7/ 151)

عمر أعجِب من تأليفه!

وثمة مشهدان من التعجب من تأليفه الصوتي.

أحدهما: تعجَّب عمر من تأليفه -قبل أن يدخل الإسلام-فأُعجب. عَنْ عُمَر بْن الْخَطَّابِ قَالَ: "خَرَجْتُ أَتَعَرَّضُ رَسُولَ اللهِ، قَبْلَ أَنْ أُسْلِمَ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقُمْتُ خَلْفَهُ، فَاسْتَفْتَحَ **سُورَةَ الْحَاقَّةِ. فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ تَأْلِيفِ الْقُرْآنِ.** فَقُلْتُ: "هَذَا وَاللهِ شَاعِرٌ- كَمَا قَالَتْ قُرَيْشٌ . قَالَ: فَقَرَأَ:**{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلا مَا تُؤْمِنُونَ}**:قُلْتُ: كَاهِنٌ. قَالَ:**{وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ(42) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (43) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ(44) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ(45)ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ(46) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**[24]} إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

قَالَ: **"فَوَقَعَ الإِسْلاَمُ فِي قَلْبِي كُلَّ مَوْقِعٍ**[25]**"**.

فقوله:(فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ[26] **مِنْ تَأْلِيفِ الْقُرْآنِ).** يقصد: أصواته -سماعاً -لا كتابة ، وفي غضونه نظم فريد مسبوك-مخارجَ وصفات ، وجملاً ومفردات . وأسلوبا وأداء. والعجب من لغة القرآن، ربما يشي بسبب آخر، ما **روي-إشارة -بأن** القرآن الكريم قد نزل بلسان إسماعيل-عليه السلام-التي قد درست. فعن جابر: أن رسول الله [ε] تلا: **{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**[27]**}**. ثم قال:**" أُلْهِمَ إِسْمَاعِيلُ هَذَا اللِّسَانَ إِلْهَامًا**[28]**"**.

الوليد بن المغيرة :

---

[24] [الحاقة: 40 - 47].

[25] المسند الجامع لأبي الفضل(26/ 12). أخرجه أحمد(107)

[26] **العجَب:** الأمر الغريب. العجيب: الأمر يُتَعَجَّبُ منه. وكذلك العُجابُ بالضم؛ والعُجَّابُ بالتشديد أكثر منه. وكذلك الأعجوبة . وقولهم: عجبٌ عاجبٌ . كقولهم: ليل لائل . يؤكَّد به. الصحاح في اللغة (1/ 446)

[27] [فصلت: 3]

[28] شعب الإيمان (3/ 165) مستدرك الحاكم(4/ 23)هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وثانيهما: اندهاش الوليد بن المغيرة:

ولذلك، حير العربَ– جميعاً-فعجز أساطين الفصاحة فيهم عن محاكاته، وجعلهم يتساقطون أمام بلاغته، وعجائب لحنه وغنائه. وهذا الوليد بن المغيرة يعجب منه أشد العجب، وهو الخبير في بلاغة العربية– نثرا وشعرا-بل الأعلم بذلك. ولما نزل على النبي{**حم(1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (2) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ**[29] }.

قام النبي[ε] في المسجد؛ والوليد قريب منه، يسمع قراءته، فلما فطن النبي[ε] لاستماعه ، أعاد القراءة؛ فانطلق الوليد إلى مجلس(بني مخزوم)؛ فقال:" **والله، لقد سمعت من محمدٍ- آنفاً .كلاماً؛ ما هو من كلام الإنس؛ ولا من الجن.**

إنَّ له لحلاوة[30]**. وإنَّ عليه لطلاوة**[31]**؛ وإنَّ أعلاه لمثمر؛ وإنَّ أسفله لمُغدِق**[32]**؛ وإنه ليعلو، وما يُعلى عليه".**

فالوليد بن المغيرة-إذاً-قد انفعل من تأليف القرآن-صوتاُ، ومخارج، وصفات، وجملاً، ومفردات-وتأثر به تأثراً بليغاً، جعله يطيش حجره، بعد أن أقر بأنه كلام عجيب. وحسبه شاهداً ، بقوله:(**ما هو من كلام الإنس؛ ولا من الجن**)- والفضل ما شهدت به الأعداء-على غرابة النظم القرآني، وقراءته، وأنه أعجوبة الزمان. وكاد أن يجعله ذلك من الفالحين، غير أن شياطين الإنس حوله، قد

---

[29] [غافر: 1.3].

[30] الحُلْوُ: نقيضُ المُرّ. يقال: حَلا الشيءُ يَحْلُو حَلاوَةً. واحْلَوْلى مثله. وَاَحْلَيْتُ الشيء: جعلته حُلْواً. يقال: ما أَمَرَّ ؛ وما أحْلى. إذا لم يقل شيئاً . وأَحْلَيْتُهُ، إذا وجدتَه حُلْواً. وحالَيْتُهُ، أي طايَبْتُهُ. الصحاح في اللغة - (1 /145) والمشورة: أن تستخلص حلاوة الرأي؛ وخالصه؛ من حنايا الصدور. التعاريف (1 / 658)

[31]والطُّلاوَة والطَّلاوَةُ : **الحسن والقبول.** وتقول:"طلاوة" بالكسر، والصواب الضم أو الفتح في تثقيف اللسان 266 والطاء مثلثة في نوادر أبي مسحل 342/1، والمثلث لابن السيد 76/2، والاقتضاب 210/2.

[32] وأغدَقَ المطَر إغْداقاً، فهو مُغْدِقٌ. واغْدَوْدَق: كثُر قَطْرُه. ومطر مُغْدَوِدِقٌ ، وماءٌ مُغْدَوِدِقٌ : كثيرٌ . ومنه الحَديث :"اللهُمّ اسْقِنا غَدَقاً مُغْدِقاً " أكّدَه به . تاج العروس من جواهر القاموس - (26 / 237)

حالوا بينه وبين سيره في طريق الهداية . وهكذا كانت بداية النزول لأعجوبة القرآن. أما بعد: فكان يتنزل وفق مفاصل، وسور عجيبة، في سير النزول حتى النهاية .

***

القرآن الكريم نزولاً وقراءة !

(1)- حكاية النبي(ع) مع (اقرأ):

أعظم بها من حكاية!!. فهي حكاية مزدوجة: شخصية، وأممية. شخصية: فهي تحكي نزول أول الوحي على سيدنا محمد(ع) خاتم الأنبياء والمرسلين، وكيف تفاعل مع الحدث ببشريته. شرح فيها العلاقة بين(اقرأ) -نزولاً وتجويداً-والعنوان الذي نحن فيه؛ ثم التلويح بقراءة مقننة خاصة . وأممية: حين مثل بين يدي (ورقة بن نوفل)، ذاك الحبر الكبير ، الذي سلخ سجف الغيب عن حقيقة ما وراء الحدث. وأبطال هذه الحكاية أربعة :

1-خاتم النبيين محمد(ع). الصادق الأمين. 2-وجبريل الأمين . سفير بين الله وأنبيائه.

3-وخديجة بنت خويلد . مثال الزوجة العظيمة.

4-وورقة بن نوفل . الحبر الكبير، والمنصف النحرير.

وكل واحد من هؤلاء الأربعة ، كان له موقف حجر الزاوية. ومسارح الحدث ثلاثة:

1-مسرح النزول (غار حراء): الذي قال فيه رسول الله(ع): **"اُثْبُتْ حِرَاءُ!! فإِنَّما عَلَيْك نَبِيٌّ أوْ صِدّيقٌ أوْ شَهِيدٌ** [33] **"**. وفيه كان نزول أول الوحي، وبه نبئ سيدنا محمد(ع):**{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ}** .

[33] **وسببه:** ما روي عن سعيد بن زيد(ر) قال: اختبأنا مع النبي(ع) من أذى المشركين بحراء ، فلما استوينا عليه، رجف بنا، فضرب النبي(ع)بكفه، ثم قال : « **اثبت حراء! فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**» . قال : وعليه رسول الله(ع) وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن ، وسعيد بن زيد (ر). أخرجه الطيالسي(1985) والطبراني في الأوسط (6566)وأحمد (22986)قال الهيثمي (55/9): رجاله رجال الصحيح. وأبو داود(4648)والترمذي(3757) وقال: حسن صحيح. وأحمد (12127)وابن حبان (6865) كلاهما بلفظ : (أحد) .

2-مسرح السكن بمعنييه:(المادي ، والمعنوي): وفيه كان الحوار بين أعظم امرأة بين العرب، هي خديجة، وبينه(ع). وفيه نطق(ع) بـ:« زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي». وبـ:« أَيْ -خَدِيجَةُ! مَا لِي!؟... لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». وفيه نطقت خديجة بـ: **" كَلاَّ ؛ أَبْشِرْ. فَوَ اللَّهِ ! لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ- أَبَدًا-فَوَ اللَّهِ؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِى الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ**

3-مسرح**(مأدبة ورقة):** حيث كان يستقبل مريديه ،وفيه نطق بالحقيقة المحمدية ، فقَالَ وَرَقَةُ:" يَا ابْنَ أَخِي! مَاذَا تَرَى ؟".... وَ قال:" هَذَا النَّامُوسُ الَّذِى أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى. لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا ". قَالَ رَسُولُ اللَّهِ « أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ » . قَالَ وَرَقَةُ: "نَعَمْ. لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ أُوذِىَ ؛ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ حَيًّا، أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ".

(2)- الحكاية كاملة:

وتلكموها– مفصلة مبينة. فعن عَائِشَةَ زَوْج النَّبِي(ع) قَالَتْ:" كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ[34] بِهِ رَسُولُ اللَّهِ(ع) من الوحي، الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ. فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ[35]. ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ[36]؛ فَكَانَ يَلْحَقُ بِغَارِ حِرَاءٍ؛ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ – قَالَ: وَالتَّحَنُّثُ التَّعَبُّدُ -اللَّيَالِيَ[37] ذَوَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى

[34] هو مرسل صحابية. فإنها لم تدرك هذه القضية. فإما أن تكون سمعتها من النبي(ع)أو من صحابي. قال ابن حجر: ويؤيد سماعها منه قولها في أثناء الحديث (قال: فأخذني فغطني). شرح السيوطي على مسلم (1/ 188).

[35] مثل: بالنصب حال. فَلَق الصبح وفلْق : ضياؤه. يضرب مثلا للشيء الواضح البين.

[36] الخلاء- بالمد: الخلوة . بغار حِراء: مصروف وروي- بفتح الحاء والقصر: جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال على يسار الذاهب من مكة إلى منى. شرح السيوطي على مسلم (1/ 188)

[37] يتحنث فيه: في سيرة بن هشام(يتحنف) بالفاء. أي: يتتبع الحنيفية . وهي دين إبراهيم . والفاء تبدل ثاء في كثير من كلامهم. (وهو: التعبد)مدرج في الخبر قطعا. قال بن حجر: وهو يحتمل أن يكون من كلام عروة أو من دونه. قال: ولم يأت التصريح بصفة تعبده، لكن في رواية عبيد بن عمير -عند بن إسحاق: فيطعم من يرد عليه من المشركين. وجاء عن بعض المشايخ : أنه كان يتعبد بالتفكر. (الليالي) بالنصب على الظرف. وتعلقه: ب.(يتحنث) لا بالتعبد " شرح السيوطي على مسلم (1/ 188)

أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ. ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ بِمِثْلِهَا[38].حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ[39] -وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ- فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ:" اقْرَأْ ". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ε):«مَا أَنَا بِقَارِئٍ[40]» .

قَالَ «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي[41] حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ[42]. ثُمَّ أَرْسَلَنِي[43]؛ فَقَالَ:" اقْرَأْ ". قُلْتُ :"مَا أَنَا بِقَارِئٍ ". فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي؛ فَقَالَ:" اقْرَأْ ". قُلْتُ:" مَا أَنَا بِقَارِئٍ[44]". فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي؛ فَقَالَ :{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} . الآيَاتِ... إِلَى قَوْلِهِ :(عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[45]. فَرَجَعَ

---

[38] في رواية بن إسحاق : "أنه كان يعتكف شهر رمضان". لمثلها: أي: الليالي" شرح السيوطي على مسلم (1/ 188)

[39] فجئه الحق- بكسر الجيم وفتحها وهمزة : أي بغته . فجاءه الملك: الفاء تفسيرية لا تعقبية. فقال: اقرأ - عند بن إسحاق:" **أتاني جبريل بنمط من ديباج فيه كتاب؛** فقال اقرأ..." شرح السيوطي على مسلم (1/ 188)

[40] ما : نافية . أي ما أحسن القراءة . واسمها: أنا . وخبرها: بقارئ. . وَالْبَاء: زَائِدَة لِتَأْكِيدِ النَّفْي. أي ما أحسن أن أقرأ . كما جاء في رواية: "ما أُحْسِن أن أقرأ " أَيْ : مَا أُحْسِنُ الْقِرَاءَة . والباء -هنا- لتحسين الكلام . فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثًا قِيلَ لَهُ (اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبّك) أَيْ : لَا تَقْرَؤُهُ بِقُوَّتِك وَلَا بِمَعْرِفَتِك ، لَكِنْ بِحَوْلِ رَبّك وَإِعَانَته؛ فَهُوَ يُعَلِّمك . مشارق الأنوار على صحاح الآثار(1/ 138) التوضيح لشرح الجامع الصحيح(2/ 260) السيوطي على مسلم (1/ 188) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (7/ 426)

[41] فغطني: أي عصرني وضمني. وفي مسند الطيالسي: فأخذني بحلقي. ولابن أبي شيبة: فغمني . ولابن إسحاق: فغتني. والكل بمعنى" .شرح السيوطي على مسلم (1/ 188)

[42] حتى بلغ مني الجهد بفتح الجيم وضمها لغتان. وهو: الغاية والمشقة. وبرفع الدال ونصبها. أي: بلغ الجهد مني مبلغه وغايته. أو بلغ جبريل مني الجهد . شرح السيوطي على مسلم (1/ 188)

[43] أرسلني: أطلقني.

[44] فَإِنْ قِيلَ : لِمَ كَرَّرَ ذَلِكَ ثَلَاثًا ؟ أَجَابَ أَبُو شَامَة بِأَنْ يُحْمَل قَوْله أَوَّلًا " مَا أَنَا بِقَارِئ " عَلَى الِامْتِنَاع . وَثَانِيًا عَلَى الْإِخْبَار بِالنَّفْيِ الْمَحْض. وَثَالِثًا عَلَى الِاسْتِفْهَام . وَيُؤَيِّدهُ أَنَّ فِي رِوَايَة أَبِي الْأَسْوَد فِي مَغَازِيه عَنْ عُرْوَة أَنَّهُ قَالَ :" كَيْفَ أَقْرَأ؟ ". وَفِي رِوَايَة عُبَيْد بْن عُمَيْر عَنْ اِبْن إِسْحَاق :" مَاذَا أَقْرَأ ؟ ". وَفِي مُرْسَل الزُّهْرِيّ فِي دَلَائِل الْبَيْهَقِيّ : "كَيْفَ أَقْرَأ ؟" كُلّ ذَلِكَ يُؤَيِّد: أَنَّهَا اِسْتِفْهَامِيَّة. فتح الباري لابن حجر(1/ 4)

[45] وفي فتح الباري - ابن حجر (12/ 357)قال: ويحتمل أن يكون جبريل أشار بقوله:(اقرأ) إلى ما هو مكتوب في(النمط) الذي وقع في رواية بن إسحاق؛ فلذلك قال له:(ما أنا بقارئ) أي: أمي؛ لا أحسن قراءة الكتب . قال: والأول أظهر .وهو أنه أراد بقوله(اقرأ) التلفظ بها. ويؤيده: أن رواية عبيد بن عمير انما ذكرها عن منام تقدم-بخلاف حديث عائشة- فإنه كان في اليقظة. ثم تكلم شيخنا على ما كان مكتوبا في ذلك النمط، فقال: اقرأ :أي القدر الذي أقرأه إياه . وهي الآيات الأولى من اقرأ باسم ربك". وقال الحافظ ابن حجر : لعل الحكمة في تكرير الإقراء؛ الإشارة إلى انحصار الإيمان، الذي ينشأ الوحي بسببه، في ثلاث: القول والعمل والنية. وإن الوحي يشتمل على ثلاثة: التوحيد والأحكام والقصص . الهجرة . إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (7/ 426) (35 /10)

بِهَا [46]رَسُولُ اللَّهِ(ع) تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ[47] حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ:« **زَمِّلُونِي[48] زَمِّلُونِي**». فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ[49]؛ قَالَ لِخَدِيجَةَ: « أَيْ -خَدِيجَةُ! مَا لِي!؟ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي[50]». فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ .

قَالَتْ خَدِيجَةُ:" كَلاَّ [51]؛ أَبْشِرْ. فَوَ اللَّهِ ! لاَ يُخْزِيكَ[52] اللَّهُ – أَبَدًا - فَوَ اللَّهِ؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ [53]، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ [54]، وَتَقْرِى الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ".

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ -وَهْوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا. وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِي، وَيَكْتُبُ مِنَ

---

[46] فرجع بها. أي : بالآيات.

[47] ترجف: ترعد وتضطرب. بوادره :جمع بادرة . وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق تضطرب عند فزع الإنسان.

[48] أي: غطوني بالثياب ولفوني بها.

[49] الروع- بفتح الراء: الفزع.

[50] قيل: خشي الجنون وأن يكون ما رآه من جنس الكهانة. قال الإسماعيلي وذلك قبل حصول العلم الضروري له أن الذي جاءه ملك وأنه من عند الله شرح السيوطي على مسلم (1/ 188)

[51] **كلا :** نفي وإبعاد. ففي شرح المفصل لابن يعيش (5/ 132) قال سيبويه: هو ردعٌ وزجرٌ. وقال الزجاج: "كلا" ردعٌ وتنبيهٌ، وذلك قولك: " كلا " لمن قال لك شيئاً تنكره, نحو: "فلانٌ يُبغضك". وشبهه. أي: ارتدع عن هذا وتنبه عن الخطأ فيه. قال الله تعالى بعد قوله: {رَبِّي أَهَانَنِ* كَلَّا} أي: ليس الأمر كذلك, لأنه قد يوسع في الدنيا على من لا يكرمه من الكفار, وقد يضيق على الأنبياء والصالحين للاستصلاح . واختلفوا في معناه؟ فقال أبو حاتم: "كَلَّا" في القرآن على ضربين على معنى الرّدّ للأوّل بمعنى: "لا"، وعلى معنى: "ألا" التي للتنبيه، يُستفتح بها الكلام. وقد قال بعض المفسّرين في قوله تعالى: **{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى}**: معناه: حَقًّا. وهذا قريبٌ من معنى "ألا". وقال الفرّاء: "كَلَّا" حرفُ رَدّ يُكتفى بها كـ"نَعَمْ"، و"بَلَى"، وتكون صلة لما بعدها، كقولك: "كَلَّا وَرَبِّ الكَعْبة" بمنزلةِ "إيْ وربّ الكعبة"- كقوله تعالى: {كَلَّا وَالْقَمَرِ} . والحق فيها : أنّها تكون ردّ الكلام قبلها بمعنى "لا", وتكون تنبيهًا كـ"ألا" و"حَقًّا" وعليه الأكثرُ. ويحسن الوقفُ عليها إذا كانت ردًّا. بمعنى: ليس الأمرُ كذلك. ولا يحسن الوقفُ عليها إذا كانت تنبيهًا بمعنى "ألا " و"حَقًّا"، فاعرفه. شرح المفصل لابن يعيش (5/ 132)

[52] لا يخزيك الله: من الخزي. وهو الفضيحة والهوان. نوائب: جمع نائبة وهي الحادثة.

[53] الكَلّ: الثقل. قال النووي: ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك.

[54] تكسب المعدوم -بفتح التاء في الأشهر وروي بضمها - وعليه ؛ فالمعنى :تكسب غيرك المال المعدوم. أي : تعطيه إياه –تبرعا- فحذف أحد المفعولين . وكانت العرب تتمادح بكسب المال، لا سيما قريش؛ وكان النبي(ع)محظوظا في تجارته. السيوطي على مسلم (1/ 188)

الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ، مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ- فَقَالَتْ خَدِيجَةُ :"يَا ابْنَ عَمِّ ! اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ " .

قَالَ وَرَقَةُ:" يَا ابْنَ أَخِي! مَاذَا تَرَى ؟".

فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُ(ε)خَبَرَ مَا رَأَى؛ فَقَالَ وَرَقَةُ:" هَذَا النَّامُوسُ[55] الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى. لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا ". ذَكَرَ حَرْفًا ....

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ε)« أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ[56]» .

قَالَ وَرَقَةُ: "نَعَمْ. لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ أُوذِيَ ؛ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ حَيًّا، أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا". ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً ،حَتَّى

---

[55] هذا الناموس :إشارة إلى الملك الذي ذكره النبي(ε)في خبره. وهو اسم لجبريل. وأصله في اللغة: صاحب سر الخير يقال: نمست الرجل. أي: سارته . ونمست السر :كتمته .أنزل على موسى: في رواية عند أبي نعيم في الدلائل على عيسى. قال النووي: وكلاهما صحيح. شرح السيوطي على مسلم (1/ 188) الناموس : الوحي.

[56] بهمزة الاستفهام. و(أو)العطف المفتوحة. و(مُخْرِجِيَّ هُمْ)، هَكَذَا الرِّوَايَة- وَيَجُوز تَخْفِيف الْيَاء عَلَى وَجْه الصَّحِيح. الْمَشْهُور تَشْدِيدهَا. كقَوْله تَعَالَى{بِمُصْرِخِيَّ} وَهُوَ جَمْع مُخْرِج. فَالْيَاء الْأُولَى يَاء الْجَمْع. وَالثَّانِيَة ضَمِير الْمُتَكَلِّم . قلبت واو الجمع ياء، وأدغمت في ياء الاضافة. وَفُتِحَتْ لِلتَّخْفِيفِ لِئَلَّا يَجْتَمِع الْكِسْرَة، وَالْيَاءَانِ بَعْد كَسْرَتَيْنِ . وأصله: مخرجون . جمع اسم الفاعل . فلما أضيف إلى ياء المتكلم، سقطت نونه- للإضافة- فانقلبت واوه ياء، وأدغمت في ياء المتكلم". وإعراب: (مخرجي هم): وهو خبر مقدم . وهم مبتدأ مؤخر. لأن هم مبتدأ. ومخرجي مقدما خبره. ولا يجوز العكس لأن مخرجي نكرة. فإن إضافته لفظية .... ويجوز أن يكون مخرجي مبتدأ وهم فاعلا سد مسد الخبر على لغة **:(أكلوني البراغيث).** ولو روى (مخرجي) بسكون الياء، أو فتحها-مخففة- على أنه مفرد؛ يصح جعله مبتدأ، وما بعده فاعلا سد مسد الخبر- كما تقول : (أو مخرجي بنو فلان) لاعتماده على حرف الاستفهام ؛ لقوله: (أحي والداك؟). والمنفصل من الضمائر يجري مجرى الظاهر. ومنه قول الشاعر:

(أمنجز أنتم وعدا وثقت به أم اقتفيتم جميعا نهج عرقوب).

روي: إنّه كان رجل من العماليق يقال له عرقوب، فأتاه أخ له يسأله شيئاً، فقال له عرقوب:" إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها ". فلما أطلعت، أتاه للعدة، فقال: "دعها حتى تصير بلحاً ". فَلَمَّا صَارَت بلحًا قَالَ: "دعها حَتَّى تشقح، فلمّا شقحت، قَالَ: "دعها حَتَّى تصير رُطَبًا ". فَلَمَّا صَارَت رطبا . وفي رواية: فلما أبلحت أتاه، فقال له: "دعها حتى تصير زهواً" . فلما أزهت، قال له **:" دعها حتى تصير تمراً ".** فلما أتمرت، عمد إليها عرقوب من الليل، فجدها، ولم يعط منها شيئاً". فصار مثلا في الخُلف. وفيه يقول الاشجعي:

(وعدت وكان الخلف منك سجية ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب)

وبعضهم يرويه " بأترب " اسم موضع قال: أنشدني الأصمعي بيثرب. الأمثال لابن سلام (87) شرح النووي على مسلم (1/ 287) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (1/ 146) (1/ 155)و الديباج على مسلم(1/ 187) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي (693)

حَزِنَ رَسُولُ اللَّهِ (ε). وفي رواية فَقَالَ وَرَقَةُ :"هَذَا النَّامُوسُ الَّذِى أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى. يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا أَكُونُ حَيًّا ، حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ε):« أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ ».

فَقَالَ وَرَقَةُ:" **نَعَمْ . لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا** "... ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْىُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ(ε)فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَي يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَىْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ، تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ:

" يَا مُحَمَّدُ! إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا" .

فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ[57]، وَتَقِرُّ نَفْسُهُ[58]، فَيَرْجِعُ. فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ؛ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ؛ فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ ؛ فَقَالَ لَهُ: مِثْلَ ذَلِكَ [59]. وعن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيّ (ر) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(ε)وَهْوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ: «بَيْنَا أَنَا أَمْشِى سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِى، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِى جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؛ فَفَرِقْتُ مِنْهُ؛ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ:" زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي». فَدَثَّرُوهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ

---

[57] جأْشه: أي: قلبه . مقدمة الفتح (94) وفي فتح الباري (12/ 360)مكث أياما بعد مجيء الوحي لا يرى جبريل، فحزن حزنا شديدا حتى كان يغدو إلى(ثبير) مرة. وإلى (حراء) أخرى يريد ان يلقي نفسه. فبينا هو كذلك عامدا ليعض تلك الجبال إذ سمع صوتا فوقف فزعا ثم رفع رأسه فإذا جبريل على كرسي بين السماء والأرض -متربعا- يقول: **يا محمد أنت رسول الله حقا؛ وأنا جبريل"..** فانصرف، وقد أقر الله عينه، وانبسط جأشه. ثم تتابع الوحي".

[58] فيسكن لذلك جأشه: وقد تسهل. قال الخليل: الجأش النفس . فعلى هذا فقوله (وتقر نفسه) تأكيد لفظي. فتح الباري - ابن حجر (12/ 360)

[59] صحيح البخاري (23/ 114) (16/ 390) أَيْ لُفُّونِي ، يُقَالُ زَمَّلَهُ فِي ثَوْبِهِ إِذَا لَفَّهُ فِيهِ ، وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ : " دَثِّرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا ". قَالَ الْحَافِظُ : وَكَأَنَّ الْحِكْمَةَ فِي الصَّبِّ بَعْدَ التَّدَثُّرِ :طَلَبُ حُصُولِ السُّكُونِ لِمَا وَقَعَ فِي الْبَاطِنِ مِنْ الِانْزِعَاجِ؛ أَوْ أَنَّ الْعَادَةَ أَنَّ الرِّعْدَةَ تَعْقُبُهَا الْحُمَّى، وَقَدْ عُرِفَ مِنْ الطِّبِّ النَّبَوِيِّ مُعَالَجَتُهَا بِالْمَاءِ الْبَارِدِ. زمل : لف وغطى. تحفة الأحوذي (8/ 199)

فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ}.. قَالَ : ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ[60] . وفي رواية [61]:« ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ، وَتَتَابَعَ[62] ». إذاً. بهذا الوحي:-" يَا مُحَمَّدُ! إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا"- قد علم أنه نبي؛ أما في البداية لم يكن يعلم ذلك.

اللسـان في القرآن الكريم

لكل أمة لسان تتواضع عليه، حتى تتواصل فيما بينها؛ والرسول المبتعث من الله ، كان لسانه، لسان المرسل إليهم، حتى لا يكون لهم العذر بترك الخطاب، لاختلاف اللسان. قال تعالى :**{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[63]}**.

ومعنى**{بِلِسَانِ قَوْمِهِ}**متكلماً بلغة من أرسل إليهم من الأمم، المتفقة على لغة؛ سواء بعث فيهم أولاً[64].أي: بلُغتهم. قال ابن الأنباري: ومعنى اللغة- عند العرب: الكلام المنطوق به. وهو مأخوذ من قولهم:**(لَغا الطائر يَلْغُو)**: إذا صَوَّت في الغَلَس[65].

---

[60] صحيح البخاري (16/ 391) دثروه : غطوه بما يستدفئ به . الفترة : الانقطاع. فرقت : خشيت.

[61] صحيح البخاري (16/ 311)

[62] ثم حمي الوحي: أي: كثر نزوله وازداد . وفيه طباق لفترة الوحي؛ ولما لم يكن انقطاعا كليا، عبر بالفترة لا بالبرود. تتابع : تأكيد معنوي. شرح السيوطي على مسلم (1/ 192)

[63] [إبراهيم: 4].

[64] وقيل: بلغة قومه الذين هو منهم وبعث فيهم . تفسير الألوسي (9/ 315)

[65] زاد المسير (4/ 18). الدجى: ظلام الليل. والغلس: ظلام آخر الليل. والتغليس: خلاف النور.

وقرأ أبو السَّمَّال[66]،وأبو الجوزاء[67].

[66] **أَبُو السَّمَّال العَدويُّ**، البصريُّ المقرئ.[151 - 160 هـ]هو: قعنب بْن هلال بْن أَبِي قعنب .لَهُ قراءة شاذة فِي "الكامل" لأبي القاسم الهذلي، وَفِي غيره. وأسند الهذلي قراءة أبي السمال عن هشام البربري عن عباد بن راشد عن الحسن عن سمرة عن عمر. وهذا سند لا يصح". وفي غاية النهاية (1: 287) " له اختيار في القراءة شاذ عن العامة ". وفي لسان الميزان ت أبي غدة(9/ 86) له حروف شاذة لا يعتمد على نقله، وَلا يوثق به ". رواها عَنْهُ أَبُو زَيْدُ سَعِيد بْن أوس الأَنْصَارِيّ. قَالَ الهذلي: إمام فِي العربية. وقال: قَالَ أَبُو زَيْدُ: طفت العربَ كلها فلم أر فيها أعلم من أبي السمال. وقال أبو حاتم السجستاني: كان أبو السمال يقطع ليلة قِيَامًا حَتَّى أخذت عَنْهُ هَذِهِ القراءة، ولم يُقرئ الناس بل أخذت عَنْهُ فِي الصلاة، وكان صوّامًا قوّامًا، ثُمّ قَالَ: وقال مُحَمَّد بْن يحيى القطعي: كَانَ أَبُو السمال فِي زمانه يقدَّم عَلَى الخليل بْن أَحْمَد. وقال أَبُو زَيْدُ: أعطى مروان بْن مُحَمَّد أبا السمال ألف دينار؛ فَوَ اللَّهِ مَا ترك منها حبّة إلا تصدّق بها ". تاريخ الإسلام ت بشار (4/ 187).

[67] **أبو الجوزاء:** أوس بن عبد الله الربعي، عن ابن عباس وعائشة. من الطبقة الثانية من التابعين. روى عنه أبو علي الحنفي؛ قال: صحبت ابن عباس اثنتي عشرة سنةً فما بقي في القرآن آية إلا سألته عنها. ولم يلعن أبو الجوزاء شيئاً قط ؛ ولا أكل طعاماً ملعوناً. وكان يقول: " لأن تمتلئ داري قردةً وخنازير ؛أحب إلي من أن أجاور رجلاً من أهل الأهواء ! ". وكان يقول : **" ما ماريت أحداً قط ؛ ولا كذبت أحداً قط"**. وكان يواصل في الصوم بين سبعة أيام، ثم يقبض على ذراع الشاة؛ فيكاد يحطمها ". الإكمال (1/ 153) الوافي بالوفيات (3/ 316)

وأبو عمران[68]:**{بِلِسْن}** على وزن(ذِكر)؛ وهي لغة في لسان(كرِيش ورِياش). وقرأ أبو رجاء[69]،وأبو المتوكل[70]،والجُحدري[71]:**{بلُسُن}**. وهو جمع لسان- كعماد، وعمد. وقرئ: **{بلُسْن}**وهو مخفف لُسُن- كرسل، ورسل، وكعُمُد، وعُمْد [72] ".

والألسن كثيرة، ومختلفة، وقد عد الله اختلافها -في قرآنه- آية للعالمين، إذ قال في محكم كتابه:**{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ[73]}**. ومعنى:**{واختلاف أَلْسِنَتِكُمْ}**أي: لغاتكم.

---

[68] **موسى بن جرير:** أبو عمران الرقي الضرير؛ مقرئ نحوي مصدر حاذق مشهور. أخذ القراءة -عرضاً - عن السوسي وهو أجلّ أصحابه، روى القراءة عنه – عرضاً- أحمد بن الحسين الكتاني وغيره. وقال إنه أضبط من لقيته ممن ينتحل قراءة أبي عمرو. وكان لأبي عمران اختيارات يخالف فيها قراءته عَلَى السوسي، وكان يعتمد في ذَلِكَ عَلَى العربية. فممّا كَانَ يختاره ترك الإشارة إلى حركة الحروف مَعَ الإدغام وتفخيم فتحه الراء إذا كَانَ بعدها ياء قد سقطت لساكن. عَنْ نظيف: قرأتُ عَلَى موسى بْن جرير النحوي الضرير بالرّقّة سنة خمسٍ وثلاث مائة. ثمّ بعد ذَلِكَ قدم حلب. وقال الذهبي: "كان بصيراً بالإدغام، ماهراً في العربية ". مات أبو عمران حول سنة (310)هـ. ونظيف هو بْن عَبْد اللَّه، أَبُو الْحَسَن الحلبيّ المقرئ.[الوفاة: 341 - 350 هـ] من جِلَّة المقرئين وكبارهم. قرأ عَلَى عَبْد الصمد بْن محمد العَيْنُونيّ سنة(209) ولم يكمل عَلَيْهِ. وسمع منه كتاب عَمْرو بْن الصَبّاح عَنْ حفص. وقرأ عَلَى مُوسَى بْن جرير الرَّقّيّ، وأحمد بْن محمد اليَقْطِينيّ. أخذ عَنْهُ عبد المنعم بن غلبون. تاريخ الإسلام ت بشار (7/ 167) (7/ 916)

[69] **أبو رجاء (عمران بن تيم. ويقال: ابن ملحان).**العطاردي البصري التابعي الكبير. ولد قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة. وكان مخضرما؛ أسلم في حياة النبي(ع) ولم يره. وعرض القرآن على ابن عباس؛ وتلقنه من أبي موسى؛ ولقي أبا بكر الصديق؛ وحدث عن عمر وغيره من الصحابة(ر)روى القراءة - عرضا - على أبو الأشهب العطاردي . وقال: كان أبو رجاء يختم القرآن في كل عشر ليال. وعن أبي رجاء قال: كان أبو موسى يعلمنا القرآن خمس آيات خمس آيات. قال ابن معين: مات سنة (105). وله(127) سنة أو: (130). غاية النهاية (1: 268)

[70] **أبو المتوكل الناجي**. اسمه: على بن داود من بنى سامة بن لؤي بن غالب. البصرى، من بنى ناجية بن سامة بن لؤي. روى عن جابر بن عبد الله، وربيعة الجرشي، وعبد الله بن عباس، وأبى سعيد الخدري، وأبى هريرة، وعائشة. روى عنه بكر بن عبد الله المزني، وثابت البناني، وعاصم الأحول، وقتادة، وآخرون. روى له الجماعة له نحو (15) حديثًا. ثقة. مات سنة (108)هـ. مغاني الأخيار (3/ 403) مشاهير علماء الأمصار (91)

[71] **عاصم بن أبي الصباح العجاج**. وقيل: ميمون أبو المُجشّر الجُحدري البصري. أخذ القراءة-عرضاً-عن سليمان بن قتة عن ابن عباس. وقرأ على نصر بن عاصم و يحيى بن يعمر . وروى حروفاً عن أبي بكر عن النبي(ع) قرأ عليه -عرضاً- أبو المنذر سلام بن سليمان وعيسى بن عمر الثقفي. وروى عنه الحروف أحمد بن موسى الؤلؤي وغيره. وقراءته في (الكامل والاتضاح) فيها منا كير. ولا يثبت سندها. والسند إليه صحيح في قراءة يعقوب من قراءته على سلام عنه. قال خليفة بن خياط وغيره: مات قبل الثلاثين ومائة. وقال المدائني: سنة ثمان وعشرين ومائة. غاية النهاية في طبقات القراء (1/ 345)

[72] تفسير الألوسي (9/ 315) تفسير أبي السعود (4/ 16).

[73] [الروم/22]

بأن علم سبحانه كل صنف لغته ،أو ألهمه -جل وعلا-وضعها ، وأقدره عليها ، فصار بعض يتكلم بالعربية، وبعض بالفارسية، وبعض بالرومية إلى غير ذلك مما الله تعالى أعلم بكميته[74]. قال الزمخشري:" الألسنة: **اللغات، أو أجناس النطق، وأشكاله** . خالف عزّ وعلا بين هذه الأشياء، حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس واحد، ولا جهارة، ولا حدّة، ولا رخاوة ، ولا فصاحة، ولا لكنة ، ولا نظم ، ولا أسلوب، ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله [75]. أو أجناس نطقكم وأشكاله، فإنك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية من كل وجه[76]. وقيل: المراد بالألسن: اختلاف الأصوات[77]. ولا تناقض في وجهات النظر بين المفسرين في تبيين المراد، وإنما نظر كل مفسر من زاوية من زوايا اللسان، فعبر عنها.

والثاقفون للآية صنفان: خاص وعام. حيث قرئ في:{للعالمين}بقراءتين متواترتين؛ فقرأ حفصٌ بكسر اللام. جعله جمعَ عالِم. ضدَّ الجاهل. أي: المتصفين بالعلم، ونحوُه.{وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ العالمون[78]}. والباقون بفتحها. لأنها آياتٌ لجميع الناس-وإن كان بعضُهم يَغْفُلُ عنها. وفيه دلالة على وضوح الآيات، وعدم خفائها على أحد من الخلق كافة. قال القشيري : واختصاص كلِّ شيء من هذه ببعض جائزات حكمها؛ شاهدٌ عَدْلٍ ، ودليلٌ صِدْقٍ . يناجي أفكار المستيقظين، وتنادي على أنفسها: أنها ، بأجمعها ، بتقدير العزيز العليم[79].

---

[74] تفسير الألوسي - (ج 15 / ص 349)

[75] الكشاف - (3 / 479)

[76] تفسير أبي السعود - (7 / 56)

[77] اللباب في علوم الكتاب - (15 / 397)

[78] [العنكبوت : 43]

[79] تفسير الألوسي (15 / 349) الدر المصون في علم الكتاب المكنون (1 / 4036) البحر المديد -(5 / 512)

اللسان صنفان:

واللسان لسانان : لسان التحدث، ولسان اليد (الكتابة). وقد عُرِّف لسان المحادثة، بـ: **"اللغة التي يُتحدَّث بها. أو هو مجاز مشهور عن التكلم"** .

هذا؛ وقد جاء في القرآن لفظ:(اقرأ) بصيغة الأمر، ثلاث مرات: مرتان في سورة العلق؛ ومرة في سورة الإسراء. وذلك للحث على تعلم اللسان:**{اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا[80]}**. فـ{اقرأ}على إرادة القول. وعن قتادة: يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئاً[81]. و{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}. و{اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ[82]}.

فأول شيء[نزل] من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات..... والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان:**(ذهني- ولفظي- ورسمي)** والرسمي يستلزمهما من غير عكس. فلهذا قال:**{اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ }.**

وفي الأثر: **" قيدوا العلم بالكتابة[83] ".**

وفيه أيضا:**" من عمل بما علم رزقه الله علم ما لم يكن [يعلم]. فأما صاحب العلم فيزداد رضا الرحمن، وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان.**

---

[80] [الإسراء: 14]

[81] الكشاف (3/ 424) تفسير أبي السعود (4/ 179)

[82] [العلق:1- 3]

[83] جاء عن عمر(ر)– موقوفا- رواه الحاكم في المستدرك (106/1) وابن أبي شيبة في المصنف (49/9) والدارمي في السنن برقم(503). وعن أنس – موقوفا- رواه الحاكم في المستدرك (106/1) والرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص368)، وجاء – مرفوعا- من حديث أنس، رواه الخطيب في تقييد العلم -(ص 70) والرامهرمزي في المحدث الفاضل (ص 368). ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، رواه الحاكم في المستدرك(106/1) وابن عبد البر في جمع بيان العلم (73/1) والموقوف أصح.

قال ثم قرأ عبد الله:**{إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى}**. وقال للآخر:**{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ [84]}**. وقد رُوي هذا- مرفوعًا إلى رسول الله (ε):**" منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا[85] "/[86]**.

صِيغ الجمع في(اللسان) ، والأحرف السبعة :

كانت البداية رسلاً هكذا، كل بلهجته، ثم استقرت أخيرا وفق العرضة الجبريلية الأخيرة، بلسان قريش-أصلاً- واقتباسا لمفردات، وأسلوب، من لهجات القبائل العربية الأخرى.

وعودة إلى قوله تعالى:**{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[87]}**.

وتعريجاً على قراءات صِيغ الجمع **{بِلِسْن} {بِلُسُن}،و{بِلُسْن}**في(اللسان)، إشارة إلى تعدد الألسنة في العربية، وأن أحرف القرآن لم تكن ذات حرف واحد؛ وإنما -كما ثبت في السنة -شملت سبعة من الأحرف العربية، وهي غيض من فيض؛ لأن لهجات العربية، هي كثيرة الأصوات، وأساليبها متنوعة. المحور فيها لسان قريش.

ومما يؤكد ذلك، الحديث الصحيح الآتي، قال رسول الله(ε):**" أتاني جبريل، فقال: "إنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أنْ تَقرَأَ أُمَّتُكَ القرآن على حرفٍ[88]" . فقلت :" أَسألُ اللهَ**

---

[84] [فاطر: 28]

[85] رواه الحاكم في المستدرك(92/1)من طريق قتادة، عن أنس به مرفوعا، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (223/10) من طريق زيد بن وهب، عن ابن مسعود به مرفوعا، وفي إسناده ضعيف.

[86] تفسير ابن كثير (8/ 437)

[87] [إبراهيم: 4].

[88] وفي رواية :(خُذِ الْقُرْآنَ على حرف) و(أن تقرأ على)و(أن تُقرئ أمتك)و(يا محمد اقرأ القرآن على حرف).

مُعَافاتَهُ ومَغْفِرَتَهُ ، وإنَّ أُمَّتي لا تُطيقُ ذلك " . ثم أتاني الثانية؛ فقال:" إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على حرفين" . فقلت: " أسأل الله معافاته ومغفرته؛ وإن أمتى لا تطيق ذلك". ثم جاءني الثالثة؛ فقال:" إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف". فقلت: " أسأل الله معافاته ومغفرته؛ وإن أمتى لا تطيق ذلك". ثم جاءني الرابعة؛ فقال:" إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف؛ فَأَيُّما حَرْفٍ قرَؤوا عليه، فقد أصابُوا [89]".

قال القاضي عياض: **هو توسعة وتسهيل لم يقصد به الحصر.....**

ويقولُ شيخُ الإسلام(ابن تيميَّة): "ولا نِزَاعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْحُرُوفَ السَّبْعَةَ الَّتِي أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا لا تَتَضَمَّنُ تَنَاقُضَ الْمَعْنَى وَتَضَادَّهُ; بَلْ قَدْ يَكُونُ مَعْنَاهَا مُتَّفِقًا أَوْ مُتَقَارِبًا كَمَا قَالَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ)(رَ): "إنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ أَقْبِلْ وَهَلُمَّ وَتَعَالَ". وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَى أَحَدِهِمَا لَيْسَ هُوَ مَعْنَى الآخَرِ; لَكِنْ كلا الْمَعْنَيَيْنِ حَقٌّ وَهَذَا اختلاف تَنَوُّعٍ وَتَغَايُرٍ لا اخْتِلَافُ تَضَادٍّ وَتَنَاقُضٍ. وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ عَنْ النَّبِيِّ(ε):**"أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، إنْ قُلْتَ: غَفُورًا رَحِيمًا أَوْ قُلْت: عَزِيزًا حَكِيمًا؛ فَاَللَّهُ كَذَلِكَ مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِآيَةِ عَذَابٍ أَوْ آيَةَ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ[90]"** . ....

لكن هذا بتوقيف مِن النبيِّ(ε) عن ربه، لا بالأهواء والآراء.قال أبو حاتم السجستاني: نزل بلغة قريش، وهذيل، وتميم، والأزد، وربيعة، وهوازن، وسعد بن بكر. وقال أبو عبيد: ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات؛ بل اللغات السبع مفرقة فيه، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة

[89] أخرجه مسلم (821) ، وأبو داود (1478) والنسائي (939) . و أحمد (21210) ، والطيالسي(558) .

[90] «مَجموع الفتاوى»: (13/ 389).

هوازن، وبعضه بلغة اليمن، وغيرهم. قال: **وبعض اللغات أسعد بها، من بعض، وأكثر -نصيباً[91]"**

ولغة القرآن ليست قاصرة على لهجة قريش، وإنما لغته هي لغة أدبية نموذجية، تمَكّن بها العرب في جاهليتهم من الحديث بعضهم إلى بعض، وهي لغة منتقاة من فصحي لهجات العرب جميعا، ولا تعود إلى قبيلة واحدة. وهذه اللغة الأدبية الراقية النموذجية، آلت إلى قريش فاحتضنتها؛ لكونها مركزاً للجزيرة العربية. ولعل حديثا لأبي شامة يؤكد هذا الرأي يقول فيه: **"القرآن العربي فيه من جميع لغات العرب؛ لأنه أنزل عليهم كافة، وأبيح لهم أن يقرؤوه على لغاتهم المختلفة، فاختلفت القراءات فيه لذلك[92]".** فيُعَبر عَن المَعنى فيه، مَرة بِعِبَارَةِ قُرَيش، ومَرة بِعِبَارَةِ هُذَيل، ومرة بِغَيرِ ذلك بِحَسَبِ **الأفْصَح، والأوْجَزِ في اللفظ**، وإنْ كَانَ أغلَبُه نَزَل بِلُغَة قُرَيش -كما قال ابْنُ عَبْدِ البَر ؛ لقولِ عُثمانَ بْنِ عَفَان (ر)أثناء جَمْع المُصحَف: **"ما اختلفتُم أنتم وَ(زَيْد)، فاكتُبُوه بِلُغَة قُرَيش؛ فإنَّه نَزَل بِلُغَتِهم"[93]**. ويقول أحد الباحثين: **"إنه يوجد في القرآن أكثر من خمسمائة جذر لغوي يعود إلى لغات متباينة متناثرة[94] "**

وسبب إنزاله على سبعة التخفيف والتسهيل. ولذلك قال النبي ε **"هون على أمتي"**

فعَنْ أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفْنَا دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ε فَقُلْتُ : "يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ

---

[91] الإتقان(1/ 134) وفي رواية: **"وبعض الأحياء أسعد بها، وأكثر حظا فيها ، من بعض. وذلك بين في أحاديث تترى "-** فضائل القرآن لابن كثير - (1 / 54)

[92] إبراز المعاني 713 الخصائص اللغوية لراوية حفص (ص: 13)

[93] تفسير القرطبي (1/90-91 مقدمة)، بتصرف.

[94] دراسة في اللهجات 14

قَرَأَ هَذَا سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِه". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ε لِلرَّجُلِ:« اقْرَأْ». فَقَرَأَ، ثُمَّ قَالَ لِلآخَرِ:« اقْرَأْ ». فَقَرَأَ فَقَالَ :« أَحْسَنْتُمَا أَوْ أَصَبْتُمَا».

فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ε حَسَّنَ شَأْنَهُمَا سُقِطَ فِي نَفْسِي، وَوَجَدْتُ أَنِّي كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - قَالَ: فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ε مَا غَشِيَنِي ضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي ، فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ فَرَقًا ، ثُمَّ قَالَ :« يَا أُبَيُّ بْنَ كَعْبٍ إِنَّ رَبِّي أَرْسَلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَإِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ ، قَالَ : فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ يَا رَبِّ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي.

فَرَدَّ عَلَيَّ الثَّانِيَةَ أَنِ اقْرَأْ عَلَى حَرْفٍ. قَالَ قُلْتُ:" يَا رَبِّ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي. فَرَدَّ عَلَيَّ الثَّالِثَةَ أَنِ اقْرَأْ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ . وَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا". **فَقُلْتُ:" اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ إِلَى يَوْمَ يَرْغَبُ إِلَيَّ فِيهِ الْخَلْقُ حَتَّى إِبْرَاهِيمَ ε[95]».**

طبيعة التنزيل

وثمة طبيعتان في التنزيل الدنيوي على رسول الله: طبيعة حالية، وطبيعة ذاتية.

فالطبيعة الحالية : كانت وفق التنجيم . والتنجيم في اللغة: هو التفريق . يقال نجم المال تنجيما: إذا أداه نجوما. وتنجيم القرآن: أي نزوله مفرقا على دفعات. لقد ابتدأ إنزاله في{لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ}ووصف هذه الليلة بأنها:{لَيْلَةِ الْقَدْرِ} وهي إحدى ليالي رمضان، كما في قوله:{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ}.

وكانت أولى آياته (اقرأ) إلى(مالم يعلم) ثم استمر نزوله نجوما بعد ذلك، متدرجا مع الوقائع والأحداث. ثم إن كتاب الله لم يصرح إلا بتفريق الوحي

[95] السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي (2/ 383) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (1/ 252)

وتنجيمه، ومنه يفهم بوضوح: أن هذا التدرج كان مثار اعتراض المشركين الذين ألفوا أن تلقى القصيدة جملة واحدة، وسمع بعضهم من اليهود: أن التوراة نزلت جملة واحدة . فأخذوا يتساءلون عن نزول القرآن نجوماً، وودوا لو ينزل كله مرة واحدة، وقد ذكر الله اعتراضهم في سورة الفرقان، ورد عليه:**{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا، وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}.**

وفي لمسات بيانية في نصوص من الترتيل(813)قال تعالى في سورة النساء:(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً{163}). فذكر تعالى جملة أشياء أنه أوحى إلى مجموعة من الأنبياء، وهم يؤمنون بهم مع أنهم لم يأتوهم بما طلبوا، فهم آمنوا بنوح وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب وإسحق ويونس وغيرهم من الأنبياء، فيقول تعالى: أنه كما أوحي إلى هؤلاء الأنبياء، أوحي إلى الرسول ε فإذا كانوا هم يؤمنون بأولئك بدون كتاب. فإذن الوحي يجب أن يكون كافياً. هذا أمر . والأمر الآخر(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح) سواء كان معهم كتب، أو لم يكن معهم، وكما آتينا داوود زبوراً. بمعنى: آتيناك كتاباً كما آتينا داوود زبوراً.

فلماذا خصّ الزبور؟ لأن الزبور نزل منجّماً. أي: بالتقسيط. كما أُنزل القرآن على الرسول ε. ويخاطب تعالى الكافرين بقوله: أنتم تؤمنون بداوود، وقد نزل عليه الزبور منجماً، وقد أتيناك كتاباً كما آتينا داوود، وتؤمنون بالأنبياء الذين أوحينا إليهم، وقد أوحينا إليك كما أوحينا إلى باقي الأنبياء. وكما أرسلنا رسلاً أرسلنا محمداً أيضاً:(وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ).

مدة التنجيم: نزل القرآن منجما في مدة ثلاث و عشرين سنة[96] . وكمية النازل في كل نجم : كانت كمية الآيات تتفاوت في النزول , فأحيانا كانت آية واحدة و أحيانا بعض آية، و أحيانا كانت تنزل على النبيε الآيتين و الخمس و العشر ، و أحيانا تنزل سورة كاملة- كما في سورة الفاتحة و الكوثر و المرسلات و غيرها .

حِكم التنجيم وأسراره : 1. تثبيت فؤاد النبي ε.2. تسهيل حفظه . 3. موالاة الحجة بعد الحجة . 4. فضح المنافقين و المشركين . 5. التذكير و التأثير في النفس . 6. رعاية المجتمع الإسلامي و الأخذ بيده في الحياة الجديدة على ضوء هداية الله عز و جل .

والطبيعة الذاتية: (كونه بلسان عربي قح)

ولا يختلف عاقلان، على أن الله قد خص القرآن باللسان العربي المبين، فلم تشبه شائبة الدخيل، فهو خال من كل ما يعجم، **قُح[97]في البيئة، والمنشأ.** قال الجمهور : ليس في كتاب اللَّه- سبحانه -شيءٌ بغير لغة العرب لقوله تعالى:**{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا....[98]}** . وقال تعالى:**{وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ}[99]**. لقد صرحت الآية هذه : بأنه لسان عربي. وفائدة هذه الحال**(لِسَانًا عَرَبِيًّا)**-مع أن عربيته أمر معلوم لكل أحد-الإشعار بالدلالة على أن كونه مصدقاً-كما دل على : أنه حق- دل على: أنه وحي، وتوقيف

---

[96] البرهان (1 / 228)، والإتقان 1 / 146)

[97] القُحُّ: الخالص من اللُّؤمِ والكَرَمِ ومن كل شيء . وأعرابيٌّ قُحٌّ وقُحاح: مَحْضٌ خالصٌ . و قيل: هو الذي لم يَدخُلِ الأَمْصَارِ ولم يَخْتَلط بأهلها وهو من ذلك. وقال ابن دريد: عَرَبِيٌّ قُحٌّ: مَحْضٌ. فلم يَخُصَّ أعرابيا من غيره. وأعراب أقْحاحٌ والأنثى قُحَّةٌ. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة (3/ 58) . وتقول : قرأته في الصحاح وسمعته من الأقحاح . وعربية فحّةٌ : محضةٌ . وهو من قحهم : من صميمهم . أساس البلاغة للزمخشري (2/ 223)

[98] [الزخرف: 3]

[99] [الأحقاف: 12]

من الله تعالى[100]. والأصل: وهو مصدق لساناً. وقيل: هو منصوب بنزع الخافض. **أي: مصدق بلسان عربي[101]**. وقال:**{وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (193)عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ [102]}**. وهنا زاد وصفا آخر . **وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة [103]. على ما يشعر به وصفه بمبين، بعد وصفه بعربي[104]** . وقال:**{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا[105]}**:والمراد بالحكم: ما فيه من الأحكام [106].

أو حكمة عربية ،مترجمة بلسان العرب[107]. والحكم: هو المُعْنى. والمقصود به: القرآن.

وهو كتاب؛ والكتاب مَبْنى ومَعْنى. وأتي بوصف المبالغة-إشارة إلى أن القرآن في حَدِّ ذاته حكم ، بل هو الحكم ذاته. وذلك؛ حين تصف قاضياً يحكم تمام العدل؛ تقول:" قَاضٍ عَدْل".أي: كأن العدل قد تجسد في القاضي؛ وكأن كل تكوينه عدل. ولا تقول: **"قَاضٍ عادلٌ "**.

والحق سبحانه-هنا-يقرر: أن القرآن هو الحكم العدل، ويصفه بأنه:{حُكْماً عَرَبِيّاً} ولذلك يقول في آية أخرى:**{وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ [108]}**.أي: أنه شرفٌ كبير لك ولقومك، أن نزل القرآن بلغة العرب. وادعى ناس: أن في القرآن ما ليس بلغة العرب، حتى ذكروا لغةَ الرّوم، والقبط، والنَّبط.

---

[100] تفسير الألوسي (19 / 59)

[101] تفسير الألوسي (19 / 60)

[102] [الشعراء: 192 - 196]

[103] تفسير البحر المحيط(8 / 424)الكشاف -(2 / 593)

[104] تفسير الألوسي (10 / 305)

[105] [الرعد: 37]

[106] فتح القدير (4/ 118):

[107] الكشاف (3/ 257) و (2/ 109)

[108] [الزخرف: 44]

قال أبو عبيدة: ومَن زعم ذلك فقد أكْبَرَ القول. قال: وقد يُوافق اللفظُ اللفظَ، ويقاربه، ومعناهما واحدٌ. وأحدهما بالعربية، والآخر بالفارسية أو غيرها. قال: فمن ذلك الإسْتَبْرَق. وهو الغليظُ من الدّيباج. وهو (استبره) بالفارسية أو غيرها.

قال: وأهلُ مكة يسمُّون المسْح-الذي يَجعَل فيه أصحاب الطعام البرّ-البلاَس. وهو بالفارسية بلاس. فأمالوها وأعربوها فقاربت الفارسيةَ العربية في اللفْظ. ... ثم قال: وذلك كلُّه من لغات العرب، وإن وافَقه في لفظه ومعناه شيء، من غير لغاتهم.

وقال الإمام فخر الدين الرازي وأتباعه: "ما وقع في القرآن-من نحو المشْكاة، والقسْطاس، والإستبرق، والسجّيل-لا نُسَلّم أنها غيرُ عربية، بل غايتُه: أن وَضْعَ العرب فيها وافق لغةً أخرى-كالصابون والتنّور- فإن اللغات فيها متفقة ".

قال أبو عبيدة:" والصواب عندي: مذهبٌ فيه تصديقُ القَوْلين جميعاً، وذلك أنَّ هذه الحروف أصولُها عجمية-كما قال الفقهاء- إلا أنها سقطت إلى العرب، فأعْرَبتها بألْسنتها، وحوَّلتْها عن ألفاظ العجم، إلى ألفاظها، فصارت عربيةً، ثم نزل القرآن، وقد اختلَطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: إنها عربية فهو صادق. ومن قال: عجمية فهو صادق [109] ".

وصفوة القول: أن ما ادعي أنه دخيل ، قولب بقوالب العربية ، وامتزج بأسلوبها، وانصهر بأوزانها، حتى ما كاد الخاطر أن يتوقف عندها متسائلاً. ولما نزل القرآن بحروفها وأسلوبها، كانت العربية قائمة على سوقها، متكاملة في بنيانها، مسورة بميزان التعديل والتجريح لكل من يطرق أبوابها- نثراً ، وشعراً. وما عُلم – تاريخيا-أن أساطين فصاحتها قد بدر منهم ما يومئ أو يشير أنهم ثقفوا

[109] المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي (1/ 209) (1/ 212)

غريبا بين كلِم القرآن، وجمله، أو إلحاداً عن ذلك، بل ألفوه عالي الفصاحة، علوا لن يبلغوه، بل سجدوا له وأكبروه . وثمة آيات تقرر هذه القضية.

القراءة القرآنية لغات، وأساليب ...

حد اللغة:

والعجيب في القراءات، أنها حوت لغات العرب وأساليبها . وحد اللغة: إنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" .وقال الأسنوي في شرح منهاج الأصول : اللغاتُ :" عبارةٌ عن الألفاظ الموضوعةِ للمعانِي".

واللُغَةُ أصلها: لُغَيٌ ولُغَوٌ، والهاء عوض. وجمعها لُغًى، ولُغاتٌ .والنسبة إليها لُغَويٌّ. لا لَغَويٌّ. وقد لغا يلغو. والطير تلغى بأصواتها: أي تنغم.. ومصدره اللَّغا . قال رؤبة:

(وربِّ أَسْرابِ حَجيجٍ كُظَّمِ ... عن اللَّغا ورَفَثِ التَكَلُّمِ)

أقسم برب أسراب حجيج. والأسراب: الجماعات. الواحدة سرب . وهي القطعة من الناس وغيرهم. والحجيج: جماعة الحاج. والكظم: جمع كاظم. وهو الساكت. واللغو واللغا: اختلاط الكلام، وما كان غير معقود عليه.

الرَّفَثُ: كلمةٌ جامعة لكل ما يريده الرجل من أهله. وروى عن ابن عباس: أنه كان محرماً فأخذ بذنب ناقةٍ من الركاب، وهو يقول:

وهُنّ يَمْشِين بنا هَمِيساً ... إن تَصْدُق الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسَا[110]

فقيل له: يا أبا العباس! أتقول الرَّفَث وأنت مُحْرِمٌ؟.

فقال: إنما الرَّفَثُ ما روجع به النساء.

---

[110] والضمير في هن للابل. والهمَيس صوتُ نَقْلِ أخفافها. وقيل: المشي الخَفِيّ. ولميس: اسم جارية. والمعنى: نَفعل بها ما نريد إن صدَق الفأل. المغرب في ترتيب المعرب (1/ 337)

فرأى ابن عباس " الرَّفَثَ " الذي نهى الله عنه ما خوطبت به المرأة. فأما أن يَرفُثَ في كلامه ولا تسمع امرأة رَفَثَه، فَغَيْرُ داخلٍ في قوله تعالى:(فلا رَفَث).يقال: رَفَث يَرفُث، وأَرْفَث يُرفِث، إذا أفحش في شأن النساء[111].

وكذلك اللَّغْو. قال اللَّه سبحانه:{**وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا** [112]}.

أي: بالباطل. وجاء في الحديث: **"من قال في يوم الجمعة والإمام يخطب:(صه) فقد لغا. ومن لغا فليس له في جمعتِهِ تلك شيءٌ**[113] **"** . لغا: أي: تكلم[114]. وَقَوْلُهُ: صَهْ, وَتُكْسَرُ مُنَوَّنَةً- وَهِيَ كَلِمَةُ زَجْرٍ لِلْمُتَكَلِّمِ. أَيِ: اسْكُتْ .

القراءات القرآنية –لفظاً وأسلوباً:

أما القراءات القرآنية: فهي عربية (لفظا وأسلوبا), ولسان قريش، هو الطابع العام لها، واختيركلمات فصيحة من غيرلسانها من قبائل أخرى، حتى استوعبت المخارج الصوتية جميعاً-قوة، وتكاملاً. وكأني بالآية القرآنية:{**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**[115]}لا تنص على التكامل في التشريع، والأخلاق، والآداب، فحسب. وإنما تشير إلى التكامل اللغوي، في عربية القرآن الكريم. لأن وسيلة الوصول لفهم القرآن، لن تكون إلاَّ عبر الحرف العربي-صوتاً وفهماً. والقاعدة تقول: ما لا يتم الواجب إلاَّ به فهو واجب . فالمنهج، والوسيلة توأمان؛ وكلاهما متكامل ؛ لعمومية التنزيل وأبديته.

ثم القراءات القرآنية، وحَّدَت اللسان العربي، وحفظت لنا أصول لغات العرب، ثم اختارت أجمل الحروف من كل لغة، وصيرت اللغات العربية لغةً

---

[111] تهذيب اللغة للأزهري (5/ 90)

[112] [الفرقان: 72]

[113] أحمد (719) وأبو داود (1051) والبيهقي (5625) .

[114] الخصائص لابن جني(1/ 33)الصحاح في اللغة(2/ 144) المحكم والمحيط الأعظم (2/ 456) (1/ 86) المخصص لابن سيده (4/ 64) المزهر في علوم اللغة وأنواعها (1/ 2) شرح أدب الكاتب للجواليقي (ص: 140) (1/ 86)

[115] [المائدة/3]

واحدةً-في التخاطب الرسمي، والأدبي، والاجتماعي-المحور فيها لغة(قريش) لأن القرآن .أصلاً .قد نزل بلغتهم وعلى أصفى، وأنقى رجل منهم، بل، وأفصحهم -على الإطلاق-محمد[ε].

ولأن لغة قريش أفصح اللغات العربيَّة، وهي تشمل معظم هذه اللغات لاختلاط قريش بالقبائل ، واصطفائها الجيد الفصيح من لغاتهم ، فإنزال القرآن بلغة قريش. يعني: نزوله بألسنة العرب – جميعاً- من حيث الجملة. ولذلك ترجم البخاري لحديث عثمان بقوله: باب نزل القرآن بلغة قريش والعرب قرآناً عربياً بلسان عربي مبين ... وذكر حديث عثمان. عن أنس بن مالك قال : فأمر عثمان زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أن ينسخوا ما في المصاحف، وقال لهم:

" إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية القرآن، فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أنزل بلسانهم"..... ففعلوا [116].

جلالة لغة التنزيل

هذا؛ والعجيب في لغته، جلالتها وبداعة شمولها ووساعتها، وقد حفظ القرآن لنا اللغة العربية، **سليمة، صافيةً، منتقاة الحروف العربية، أبدية المخرج والصفة، مخلفة وراءها سائر اللهجات العربية؛ فغدت إماما لدارسيها، دونما منازع، حاظرة يد التغييروالتبديل أن تمتد إليه.** بينما نجد كل لغات العالم، قد تشعَّبتْ إلى لهجات، ثم استقلتْ كل لهجة فصارتْ لغة؛ فمثلا(اللغة اللاتينية) التي خرجتْ منها أغلب لغات أوربا المعاصرة من:(إنجليزية، وفرنسية، وإيطالية)، فنجد تلك اللغات تتفرَّق إلى لغات استقلالية، ويصير لكل

[116] صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن 625/8 مع الفتح . صحيح البخاري - (4 / 1906)

منها قواعد مختلفة؛ بل إن اللغة الإنجليزية على سبيل المثال صارت "إنجليزية . إنجليزية" يتكلم بها أهل بريطانيا؛ و" إنجليزية . أمريكية " يتكلم بها أهل الولايات المتحدة . ولو تركنا . نحن . لغة التخاطب بيننا-كمسلمين وعرب- إلى لغة التخاطب الدارجة في مختلف بلادنا؛ فلن يفهم بعضنا البعض، ويرجع تفاهمنا مع بعضنا البعض . حين نتكلم . إلى اللغة الفصحى. وهي لغة القرآن، والأفصح -عربياً-على الإطلاق.

فالقرآن الكريم لم يخرج من مألوف العرب في لغتهم العربية, من حيث المفردات والجمل, فمن حروفهم تألفت كلماته , ومن كلماته ركبت جمله, ومن قواعدهم صيغت مفرداته, وتكونت جمله , وجاء تأليفه, وأحكم نظمه . فكان عربياً جارياً على أساليب العرب وبلاغتهم ولكنه أعجزهم بأسلوبه وبيانه ونظمه الفذ , إلى جانب نفوذه الروحي, وأخباره بالغيوب , ومعانيه الصادقة , وأحكامه الدقيقة العادلة , والصالحة للتطبيق في كل زمان ومكان, وهو الكتاب الوحيد الذي تحدى منزله . جل جلاله . البشر كافة أن يأتوا بمثله.

كما يجب علينا أن نلاحظ أن القرآن الكريم ، لم يعبر بكلمة (لغة) وإنما عبر بـ(اللسان) بمعنى اللغة. فقبل نزول القرآن الكريم، كان العرب يتكلمون اللغة العربية بالسليقة، والسجية, فصيحة معربة، سليمة من اللحن والاختلال؛ ولم تكن لها قواعد مدونة, والنحو المدون لم يظهر حتى ظهر نور الإسلام ، ونزل به القرآن ، فخرج جيل الفتح الأول داعين إلى توحيد الله ، مبشرين بدينه، حاملين كتابه بلسان عربي مبين، فانتشرت العربية بانتشار الإسلام، وكتب العلماء المسلمون من غير العرب، أكثر من علماء العرب ؛ وبذلك، أصبحت العربية عالمية مقدسة ،ومنتشرة في كثير من أقطار الأرض.

العربية أفضلُ اللغات وأوسعُها

والسر في اختيار العربية للقرآن، أنها أفضل اللغات ، وأوسعها على الإطلاق، ولأنه الكتاب الأبدي – قراءة وأحكاما-كان لابد أن يكون بلغة واسعة لمفردات اللسان وأساليبه.

قال جلّ ثناؤه:{**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (193)عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**[117]}. فوصَفه جلّ ثناؤه بأبلغ مَا يوصَف بِهِ الكلام، وهو البيان. وقال جلّ ثناؤه:{**خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**[118]}: فقدّم جلّ ثناؤه ذكر البيان عَلَى جميع مَا توحَّد بخلقه وتفرَّد بإنشائه ، من شمس وقمر ونجم وشجر، وغيرِ ذَلِكَ من الخلائق المحْكمة، والنشايا المُتْقَنة .

فلمّا خصَّ جلَّ ثناؤه اللسانَ العربيَّ بالبيانِ، عُلم أن سائر اللغات قاصِرَةٌ عنه وواقعة دونه. فإن قال قائل: فقد يقع البيانُ بغير اللسان العربي، لأن كلَّ مَن أفْهَم بكلامه عَلَى شرط لغته فقد بَيَّن. قيل لَهُ: إن كنتَ تريد أن المتكلّم بغير اللغة العربية، قَدْ يُعرِبُ عن نفسه، حَتَّى يفهم السامع مراده، فهذا أخس مراتب البيان، لأن الأبكم قَدْ يدلُّ بإشارات وحركات لَهُ عَلَى أكثر مراده، ثُمَّ لا يسمّى متكلماً، فضلا عن أن يُسمَّى بَيِّناً أَوْ بليغاً.

وإن أردت أنَّ سائر اللغات تبيّن إبانة اللغة العربية؛ فهذا غَلط، لأنا لو احتجنا أن تعبّر عن السيف، وأوصافه، باللغة الفارسية، لما أمكننا ذَلِكَ إلاَّ باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرةً، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسمّاة بالأسماء المترادفة.

---

[117] [الشعراء: 192 - 196]

[118] [الرحمن: 3، 4]

فأين هَذَا من ذاك؟ وأين لسائر اللغات من السَّعة مَا للغة العرب؟ هَذَا مَا لا خفاء بِهِ عَلَى ذي نُهيَة. وَقَدْ قال بعضُ علمائنا-حين ذكر مَا للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقدير والتأخير وغيرها من سنن العرب فِي القرآن-فقال: **ولذلك لا يقدر أحد من التراجم عَلَى أن ينقله إِلَى شيء من الألسنة، كما نُقل الإنجيل عن السريانية إِلَى الحَبشية والرُّومية، وترجمت التوراة والزَّبور وسائرُ كتب الله عزّوجلّ بالعربية، لأن العجم لَمْ تتَّسع فِي المجاز اتساع العرب.**

ألا ترى أنك لو أردت أن تنقُل قوله جلّ ثناؤه:**{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ[119]}**. لَمْ تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ المؤدِّية عن المعنى الَّذِي أَوْدِعَتْه، حَتَّى تبسُط مجموعها، وتصِل مقطوعها، وتُظهر مستورها، فتقول:" **إن كَانَ بَيْنَك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضاً فأعلمهم أنّك قَدْ نقضت مَا شرطته لهم وآذِنْهم بالحرب لتكون أنت وهم فِي العلم بالنقض عَلَى استواء** " .

وكذلك قوله جلّ ثناؤه:**{فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا[120]}**.

فإن قال قائل: " فهل يوجد فِي سنن العرب ونظومها مَا يجري هَذَا المجرى؟"

قيل لَهُ: **إن كلام الله جلّ ثناؤه أعلى وأرفع من أن يُضاهى أَوْ يُقابل أَوْ يعارض بِهِ كلام، وكيف لا يكون كذلك؟. وهو كلام العليّ الأعلى خالق كلّ لغة ولسان، لكنّ الشعراء قَدْ يومئون إيماءَ، ويأتون بالكلام الَّذِي لو أراد مُريد نقْلُه، لاعْتاص[121]، وَمَا أمكن، إِلاَّ بمبسوطٍ من القول، وكثير من اللفظ.**

---

[119] [الأنفال: 58].

[120] [الكهف: 11].

[121] قد اعتاص عليه الأمر. أي: التوى. فهو معتاص.

ولو أراد أن يعبّر عن قول امرئ القيس:**(فدع عنك نَهْباً صيح في حَجَراته[122])** بالعربية، فضلاً عن غيرها لطال عَلَيْهِ.

وكذا قول القائل:**" والظنُّ عَلَى الكاذبِ [123]". و" نِجارُها نارُها [124] ".**

و" انْشأِي يُرمَ لكِ ". و" قلبٌ لَورَفع ".

و" عَلَى يَد فاخْضَمْ ". و" شأنُك إلاَّ تركُه مُتفاقم".

و" هو باقِعة [125] ". و" عَيَّ بالإسْناف [126]".

وهو كثير بمثله، طالت لغةُ العرب اللغات. ولو أراد معبّرٌ بالأعجمية، أن يعبر عن: (الغنيمة، والإخفاق، واليقين، والشكّ، والظاهر، والباطن، والحق، والباطل، والمبين، والمشكل، والاعتزاز، والاستسلام) لعيّ بهِ.

والله جلّ ثناؤه أعلم حَيْثُ يجعل الفضل.

---

[122] وتكملته**(....ولكنْ حَدِيثاً ما حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ)** . أي؛ صاح المنتهب في حجراته، وكذلك المراد سَقط الندم في يده. تهذيب اللغة للأزهري (3/ 163).أو :دَع النَّهْبَ الذي نُهِبَ مِن نَوَاحِيك، وحَدِّثْنِي حديثَ الرَّواحلِ- وَهِي الإبِلُ التي ذَهبْتَ بها ما فَعَلت؟ وحَجْرٌ : ثلاثُ قَبَائِلَ : الأُولَى : حَجْرُ ذِي رُعَيْنٍ وفي بعض نُسَخِ الأَنسابِ : حَجْرُ رُعَيْن بحذْف ذي أَبُو القَبِيلَةِ... والثانية : حَجْرُ حِمْيَرَ منها : مُخْتَارٌ الحَجْرِي...الثالثةُ وهو حَجْرُ بنُ عِمْرَانَ بنِ عَمْرٍو مُزَيْقِيَا.

[123] وهذه اللفظة، من قول ابن زيانة التميمي في شعره:(أنا ابن زيابة إن تدعني ... آتيك و الظن على الكاذب) - زيابة بوزن فعالة مشددة ،ابن زيانة بوزن فعالة تخفيفا - و الزيابة الفأرة - و في المثل: أسرق من زيابة، يعنون به الفأرة. أدب الخواص للوزير المغربي (ص: 17)

[124] أي: سِمَتُها تدلّ على نِجارِها يعني الإبل . أي: ميسمها يدل على كرمها وعتقها. يضرب في ظاهر الشيء الدال على باطنه. كما تدل سمة الإبل على أصلها. والنَّجْرُ: عَمَلُ النَّجّارِ ونَحْتُه. والأَصْلُ؛ والمَنْبَتُ، وكذلك النَّجَارُ، ويقولون:: نِجَارُها نارُها " أي: سَمْتُها. والنِّجَارَةُ، فلانٌ لَئيمُ النِّجَارَةِ. والنّارُ: السِّمَةُ، ومن أمْثالهم: " نِجَارُها نارُها " أي: مِيْسَمُها يَدُلُّ على جَوْهَرِها، وجَمْعُها نِيَارٌ. المحيط في اللغة (2/ 110) (435)

[125] الباقعة: الداهية. رجل باقعة، إذا كان ذا دهاء. وروي أن علياً قال لأبي بكر (ر):لقد عثرت من الأعراب على باقعة. وفي حديث آخر: ففاتَحْتُه فإذا هو باقِعةٌ . أَي: ذَكِيٌّ عارِفٌ لا يَفُوتُه شيء. وجارية بُقَعةٌ. والبَقْعاء من الأَرض: المَعزاء ذاتُ الحَصى الصِّغار. وهارِبةُ البَقْعاء: بَطن من العرب. والباقعة : الطائر الحذر المحتال الذي ينظر يمنة ويسرة، إذا شرب لا يرد مشارب المياه المحضورة، خوف أن يحتال عليه، ويصاد؛ وإنما يشرب من البقعة، بالفتح .وهي: المكان يستنقع فيه الماء ثم شبه به كل حذر محتال حاذق . لسان العرب(8/ 17) حياة الحيوان الكبرى للدميري (1/ 107)

[126] قالوا :أَسْنَفُوا أمرهم، أي: أحكموه، وهو استعارةٌ من هذا. و في المثل لمن تحيَّر في أمره: (عَيَّ بالإسْنافِ) .سفت الشئ أسوفه: إذا شممته. الصحاح في اللغة (1/ 334) العباب الزاخر للصاغاني (1/ 439)..

* ومما اختُصت بِهِ لغةُ العرب-بعد الَّذِي تقدم ذِكرنا لهُ- **قلبهُم الحروف عن جهاتها، ليكون الثاني أخفَّ من الأول، نحو قولهم: "ميعاد". وَلَمْ يقولوا "مِوْعاد" وهما من الوعد، إلاَّ أن اللفظ الثاني أخفُّ.**

* ومن ذَلِكَ **تركهم الجمعَ بَيْنَ السَّاكنَينِ، وَقَدْ تجتمع فِي لغة العجم ثلاث سواكن.** * ومنه قولهم: " يَا حارِ ". ميلاً إِلَى التخفيف.

* ومن اختلاسهم الحركات فِي مثل:**(فاليومَ أشرَبْ غيرَ مُسْتَحقِبٍ[127]).**

*ومنه **الإدغامُ**، وتخفيفُ الكلمة بالحذف، نحو :" لَمْ يَكُ " . و" لَمْ أُبَلْ [128]".

* ومن ذَلِكَ إضمارهم الأفعال، نحو:" امرأً أتقى الله[129]". و:" أمرَ مُبكياتِكِ، لا أمرَ مضْحكاتِكِ [130]".

---

[127] وأما الإدغام فنحو قولك:(جَعَلَ لَكَ) فمن العرب من يستثقل اجتماع كثرة المتحركات فيدغم . وهذا يبين في الإدغام. وأما إسكان الاستثقالِ: فنحو ما حكوا في شعر امرئ القيس في قوله :

(فاليومَ أشربْ غَيْرَ مُسْتَحْقَبٍ ... إثماً مِنَ الله ولا وَاغِلِ).

كان الأصل: أشربُ. فأسكن الباءَ كما تسكنها في(عَضُدٍ).فتقول: (عَضْدٌ) للاستثقال. الأصول في النحو للبغدادي (2/ 364) مستحقب: مكتسب. والواغل: الداخل على القوم يشربون، ولم يُدعَ.

[128] وأَمَّا : لَم أبل: فحقهُ أنْ تقولَ : (لم أُبالِ) كَما تقولُ:(لَم إرامِ يَا هذَا)فحُذفتِ الأَلفُ- تخفيفا، لكثرة الاستعمال، كما حذفوا الياء من قولهم: لا أدر. وكذلك يفعلون في المصدر فيقولون: ما أباليه بالة. والأصل بالية، مثل عافاه عافية، حذفوا الياء منها بناء على قولهم: (لم أبل) . وناس من العرب يقولون: (لم أبله) لا يزيدون على حذف الألف. قالَ سيبويه : سألتُ الخليلَ عن (لَمْ أُبَلْ)؟ فَقالَ : هيَ مِنْ (بَاليتُ). ولكنَّهم لما أسكنوا اللامَ حذفوا الأَلفَ لأَنَّهُ لا يلتقي ساكنانِ. وزعَم الخليلُ : أَنَّ ناساً يقولونَ :(لم أُبَلِهِ) لا يزيدونَ على حذفِ الأَلفِ. ولَم يحذفوا لا (أُبالي) كما أَنَّهُم إذَا قالوا لم يكنِ الرجلُ .فكانَتْ في موضعِ تَحركٍ لم تحذفْ. و(أُبالي):إنَّما يحذفُ في موضعِ الجزمِ فَقَطْ. وقولهم: ما أباليه .أي: ما أكترث له . الأصول في النحو للبغدادي (3/ 277) الأصول في النحو للبغدادي (3/ 343). وفي صحاح العربية للجوهري(8/ 169)

[129] امرأً اتَّقى اللّه. المزهر (1/ 256) وقول الحجاج: آمِراً اتَّقَي اللّهَ امْرُؤُ . وحاسَبَ نفسَه. المخصص (11/ 150)

[130] ويحذف الفعل وجوباً فيما ورد سماعاً كالأَمثال، وما سار مسيرها، كقولهم: (كلَّ شيء ولا شتيمةَ حر). الأصل: (ائت كل شيءٍ، ولا تأْت شتيمة حر). ومثل: (الكلابَ على البقر) والأَصل :(أَرسل الكلاب على البقر)، ومثل: (أَمرَ مبكياتك لا أَمرَ مضحكاتك) والأَصل (الزمْ أمر مبكياتك) ومن ذلك قولنا (أهلاً وسهلاً) .فالمعنى (أتيت أهلاً، ونزلت سهلاً). الموجز في قواعد اللغة العربية (ص: 159)

*** وممّا لا يمكن نقْله البتَّةَ؛ أوصافُ: (السيف[131]،والأسد[132]،والرمح[133]). وغير ذَلِكَ من الأسماء المترادفة. ومعلوم: أن العَجَم لا تعرف للأسد غير اسم واحد. فأما نحن فنُخرج لَهُ خمسين ومائة اسم[134]. وقال عبد الله بن (خالَوَيْه) الهمذاني[135]: " جمعت للأسد خمسمائة اسم، وللحيَّة مائتين"**

---

[131] ومن أسماء السيف:(الصَّارِم والرِّدَاء والخليل والقَضِيب والصَّفِيحة والمُفَقَّر والصَّمْصَامة والمَأْثُور والمِقْضَب والكَهام والأنِيث والمِعْضَد والجُرَازُ واللَّدْن والفُطَار وذُو الكَرِيهة والمَشْرَفِيّ.... المزهر في علوم اللغة (1/ 285)

[132] فمن أسمائه: الأسد، والأنثى: أسَدَة ولبؤة . والشِّبل والحفص: جَرْوه؛ والشبلة والحَفْصة: الأنثى؛ وكناه: أبو الأشبال، وأبو الحارث؛ ومن أسمائه الأعلام: بهس، وأسامة، وهرثمة، وكهمس. نهاية الأرب (3/ 18)

[133] فمن ذلك: " أسمر " وهو الدقيق . " ألة " وهو أصغر من الحربة. وفي سنانها عرض. وجمعها الإلال. أم اللواء " . "أزنى "منسوب إلى ذي يزن ."أقصاد": وهو المكسر ."ثلب": وهو المثلم. "حادر ": أي غليظ."حربة" " خرصانة". "خرص". "خطار " أي ذو اهتزاز. "خالٌ " أي لواء الجيش. " خطى " هو ما ينسب من الرماح إلى الخط، وهو موضع باليمامة..... " متثنى " كان من رماح سيدنا رسول الله (ع). نهاية الأرب (3/ 18)

[134] وقال في معجم أسماء الأشياء "اللطائف في اللغة(3) "ووجدنا السيوطي- ينظم لمنظومة، أحصى فيها أسماء الكلب- قدم لها قائلا : "دخل يوما أبو العلاء المعري على الشريف المرتضى، فعثر برجل، فقال الرجل :"من هذا الكلب؟ ". فقال أبو العلاء: "الكلب من لا يعرف للكلب سبعين أسما ". وقد عجز السيوطي أن يحصي للكلب سبعين اسماً.

قال السيوطي: وقد تتبعت كتب اللغة، فحصلتها (أكثر من ستين اسماً) ونظمتها في أرجوزة، وسميتها:**(التبري من معرة المعري)**.التبري من معرة المعري للسيوطي(ص: 1). وعد السيوطي بعمله هذا: **(ألا يكون كلباً)** -عند أبى العلاء، ولا يناله شيء من تعييره . وقد بلغ السيوطي في عد أسماء الكلب سبعين فصاعدا إذ اعتبر في العد لغات القصر والمد وتغير البنية. وفي تلك الأسماء ما كان صفة، فغلبت عليه الاسمية: مثل (الوازع وكسيب) . لأنه يزع الذئب عن الأغنام، ويكسب لأهله. والمنذر: لأنه ينذر باللصوص . ومنها ما هو ألقاب جعلت على الكلب لأن معانيها فيه. كداعي الكرم : لأنه يدل العابرين على أهل بنباحه، فيتضيفونهم .

[135] **ابن خالويه (370 هـ = 980 م)** الحسين بن أحمد بن خالويه، الحلبي الدار ، الإمام المشهور، أبو عبد الله: لغوي، من كبار النحاة. أصله من همذان. زار اليمن ودخل اليمن ونزل ذمار وأقام بها مدة ، وشرح ديوان ابن الحائك اليمني . وانتقل إلى الشام فاستوطن حلب. وعظمت بها شهرته، فأحله بنو حمدان منزلة رفيعة. وكانت له مع المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة. وعهد إليه سيف الدولة بتأديب أولاده. وتوفي في حلب. من كتبه (شرح مقصورة ابن دريد) و (مختصر في شواذ القرآن) و (الاشتقاق) و(الجمل) في النحو.

*** أخذ القرآت عرضاً :**عن أبي بكر بن مجاهد، وابن النباري .والنحو واللغة عن ابن دريد ونفطويه. أخذ القراءة عنه عرضاً أبو علي الحسين بن علي الرهاوي، استوطن حلب، وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب، وكانت إليه الرحلة من الآفاق، وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه، ويقتبسون منه.

وهو القائل: دخلت يوماً على سيف الدولة بن حمدان فلما مثلت بين يديه قال لي: (اقعد، ولم يقل اجلس). فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب. واطلاعه على أسرار كلام العرب. وإنما قال ابن خالويه هذا، لأن المختار عند أهل الأدب أن يقال للقائم:

* وعن الأصمعي ، أن الرشيد سأله عن شعر لابن حزام العُكْلِيّ ؟ ففسَّره، فقال:

" يَا أصمعي! إن الغريب – عندك- لغَيْرُغريب".

فقال:" يَا أمير المؤمنين، ألا أكون كذلك؛ وَقَدْ حفظتُ للحَجَر[136]سبعين اسماً؟ " . -وهذا كما قاله الأصمعي. ولكافي الكفاة -أدام الله أيامه وأبقى للمسلمين فضله - فِي ذَلِكَ، كتاب مجرد. فأين لسائر الأمم مَا للعرب؟!!

اقعد، وللنائم أو الساجد: اجلس، وعلله بعضهم بأن القعود هو الانتقال من العلو إلى السفل، ولهذا قيل لمن أصيب برجله مقعد، والجلوس هو الانتقال من السفل إلى العلو، ولهذا قيل لنجد: جلسا لارتفاعها، وقيل لمن أتاها: جالس، وقد جلس.

ومنه قول مروان بن الحكم لما كان والياً بالمدينة يخاطب الفرزدق : قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ... إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس . أي: اقصد الجلسا. وهي نجد. وهذا البيت من جملة أبيات. ولها قصة طويلة. مات بحلب سنة سبعين وثلاثمئة. الأعلام للزركلي (2 / 231) . بغية الطلب في تاريخ حلب - (1 / 191) وفيات الأعيان - (2 / 178)غاية النهاية في طبقات القراء - (1 / 104)البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة - (ج 1 / ص 18)وفيات الاعيان 1: 157 وبغية الوعاة 231 والمكتبة الازهرية 1: 112 وغاية النهاية 1: 237 وآداب اللغة 2: 301 ولسان الميزان 2: 267 ودائرة المعارف الاسلامية 1: 148 وإبناه الرواة 1: 324 وهو فيه (الحسين بن محمد).

[136] منها : القهب. الوقل. الصبارة. الأرم. والظرر والظررة: الحجر أو المدور المحدد منه. الأثلب والإثلب: الحجارة أو فتاتها. والأوكح. الصلدح: الحجر العريض. والصفاح :حجارة عراض رقاق اليرمع: حجارة رخوة إذا افتتت انفتت المهو: حجر أبيض يسمى بصاق القمر.....معجم أسماء الأشياء { اللطائف فى اللغة } (ص: 77)

ومن ذا يمكنه أن يُعبّر عن قولهم: (ذات الزُّمَيْن[137]. وكَثْرَة ذات اليد. ويد الدهر. وتخاوَصَت النجوم[138]. ومَجَّت الشمسُ ريقها[139].
ودَرأ الفيء[140]. ومفاصل القول.
وأتى بالأمر من فصِّه[141].

---

[137] لَقِيْتُهُ ذَاتَ الزُّمَيْنِ: هو تصغير الزمن. أي: لقيته مدة صاحبة . أو لقيته ذات الزُّمَين قبل ذلك. وأزمن الشيء : مضى عليه الزمان فهو مزمن . وأزمن الله فلاناً فهو زمن وزمين وهم زمنة وزمني وقد زمن زمناً وزمانة . وتقول: معي نكايات الزمن وشكايات .

ومن المجاز : أزمن عني عطاؤك : أبطأ عليّ . قال الأصمعي: فإنَّ لقيته بين الأعوام قلت: لقيته ذات العويم. وإنَّ لقيته في الزمان قلت: لقيته ذات الزمين. أو في الزمان. قال أبو زيد: فإنَّ لقيته بعد شهر أو نحوه قلت: لقيته عن عفرٍ. قال: فإنَّ لقيته بعد الحول أو نحوه قلت: لقيته عن هجرٍ. قال ابن السكيت :يقال : لقيتهُ أولَ ذات يَدين. أي لقيتَه أول شيء. المستقصى في أمثال العرب (2/ 286) المزهر في علوم اللغة وأنواعها (1/ 410) أساس البلاغة للزمخشري (1/ 397) لسان العرب (2/ 240)

[138] ومن المجاز: تخاوصت النجوم: إذا صغت للغروب . قال ذو الرمة: تخاوص في الغور النجوم الطوامس. وخرجوا في الظهيرة الخوصاء . وضربتهم الريح الخوصاء . وهي الشديدة الحر، لا تنظر فيها إلا متخاوصاً. قالوا: إذا طلعت الجوزاء ، خرجت الريح الخوصاء . وهضبة خوصاء: مرتفعة . وبئر خوصاء: بعيدة القعر لأن الناظر يتخاوص لهما. أساس البلاغة (1/ 125). لسان العرب (2/ 240)

[139] مَجَّ الرجل الشرابَ من فِيه: إذا رمى به. والمُجاجَةُ والمُجاجُ: الريقُ الذي تَمُجُّهُ من فِيك. يقال: المَطَرُ مُجاجُ المُزْنِ، والعَسَلُ مجاج النَحْل. الصحاح في اللغة (2/ 159)" من ضحك ضحكة، مج من العقل مجة " . الإعجاز والإيجاز للثعالبي (ص: 3). وهذا كلام تمجّه الأسماع. وقولٌ ممجوج . ومجّت الشمس ريقها . قال النابغة :

(يثرن الحصى حتى يباشرن برده إذا الشمس مجّت ريقها بالكلاكل).

والنبات يمجّ الندى . بِكُلِّ مَقيلٍ مَجَّتِ الشَّمْسُ رِيقَها عليهِ وَكَشْحُ الظِلِّ فيهِ هَضيمُ . قال الليث: الكلاكل: هي الجماعات كالكراكر. تهذيب اللغة للأزهري (3/ 306) أساس البلاغة للزمخشري (2/ 357) دواوين الشعر العربي على مر العصور (31/ 374)

[140] يُقال: فاءَ يَفِيْءُ فَيْئاً، والفِيْئَةُ: الرّجْوْعُ، والفَيْئَةُ: المَرَّةُ الواحِدَةُ والفيء: بعد الزوال. والجميع أفياء وفيوء. والفيء: ما ينسخ الشمس. وهو من الزوال إلى الغرب. الدرْء: الدفع. وفي الحديث: " ادرءوا الحدود ما استطعتم " . المحيط في اللغة (2/ 481) الصحاح في اللغة(1/ 200) العباب الزاخر (1/ 15)المخصص لابن سيده(3/ 467) إصلاح المنطق للسكيت (ص: 91) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (490)

[141] يأتيك بالأمر من فَصّه : معناه يأتيك بالأمر من مفصله. أُخذَ من فصوص العظام. وهي: مفاصِلُها . واحدها فَصّ قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب :

(فَرُبّ امرىءٍ تزدريهِ العيونُ يأتيكَ بالأمرِ من فَصِّهِ)

فَصُّ الأمرِ: أهْلُه. وفَصُّ العين: حَدَقَتُها. وأنشد: (بمُقْلةٍ تُوقِدُ فَصّاً أزرَقا). والفِصْفِصَةُ: الفِسْفِسَةُ. وهو القَتّ الرَّطبُ . والفَصُّ: فَصُّ الخاتَمِ . والفَصُّ: السِّنُّ من أسنانِ الثُّوم . العين للخليل (2/ 31) الزاهر (1/ 196)

وهو رَحْب العَطَن [142]. وغَمْرُ الرداء[143] .
ويخْلق[144]. ويَفري[145].
وهو ضيّق المَجَمّ[146].

---

[142] ورجل رحب العَطَن: أي: رحب الذراع، كثير المال، واسع الرحل . رفيعَ العمادِ طويلَ النِّجا ... دِ ضخمَ الدَّسيعةِ رحبُ العَطَنْ) المحكم والمحيط الأعظم (1/ 195) الحماسة المغربية (ص: 9) وفي اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان(ص: 750). عن بْنِ عُمَرَ(ر)أَنَّ النَّبِيَّ (ع) قَالَ:**أُرِيتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَنْزِعُ بِدَلْوٍ بَكْرَةٍ عَلَى قَلِيبٍ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَنَزَعَ ذَنُوبًا، أَوْ ذَنُوبَيْنِ، نَزْعًا ضَعِيفًا، واللهُ يَغْفِرُلَهُ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُبْنُ الخَطَّابِ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَعَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ، حَتَّى رَوِيَ النَّاسُ، وَضَرَبُوا بِعَطَنٍ"**- وفي روايةٍ: **"حتى تولَّى، والحوض يتفجَّرُ"**. أخرجه أحمد 368/2 .

أنزع : استسقي. أرفع الماء من بئر . دلو بكرة : دلو على بكرة . قليب : بئر . الذنوب : وعاء من جلد لنقل الماء. الغرب : وعاء كبير لرفع الماء ونقله. أي: صارت وتحولت عن حالها الأول من الصغر . قال الأصمعي : سألت أبا عمرو بن العلاء عن العبقري؟. فقال: يقال: هذا عبقري قومه . كقولهم : سيد قومه وكبيرهم وقويهم . وأصله: إنه نسب إلى عبقر، أرض يسكنها الجن، فصارت مثلا لكل منسوب إلى شيء رفغ . ويقال : بل هي أرض يعمل فيها الوشي والبرود .

وينسب إليها الوشي العبقري، قال الله تعالى : **{ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضرٍوَعَبْقَرِيٍ حِسَانٍ}** .قال ابن دريد : فإذا عجبوا من شدة شيء ومصابه، واستحسنوه نسبوه إلى عبقر. يفري فِريَّه أو فرْيه: يعمل بجد ونشاط وسرعة مثله.

(حتى ضرب الناس بعطن): رويت إبلهم حتى بركت، وأقامت في أماكنها. فالعطَن: ما يعد للشرب حول البئر من مبارك الإبل. أي ضرب العطن والرطوبة الأرض، لكثرة ما نزع من القليب من ماء. حاشية السندي (4/ 102)المفهم (20/ 11) إكمال المعلم (200 /7)

[143] غمر الرداء: إذا كان واسع المعروف سخياً . قال كثيّرٍ يمدح عبد العزيز بن مروان:

غَمْرُالرِّداءِ إِذَا تَبَسَّم ضاحِكاً ... غَلِقَتْ لِضَحْكَتِه رِقَابُ المالِ

استعار الرِّداءَ للمعروف، لأنه يصونُ ويستر عرضَ صاحبه، كستر الرداء ما يلقى عليه، وأضاف إليه الغمر، وهو القرينةُ على عدم إرادة معنى الثوب، لأنَّ الغمرَ من صفاتِ المالِ، لا من صفاتِ الثوب. و هذه الاستعارةُ: لا يَظفرُ باقتطاف ثمارِها إلا ذَوُو الفِطَر السليمةِ والخبرةِ التامةِ. الخلاصة في علوم البلاغة(50) إصلاح المنطق للسكيت (24)

[144] وخَلُقَ الثوب يَخْلُق خُلُوقةً، أي: بلي، وأَخْلَقَ إخلاقاً. ويقال للسائل : أَخْلَقْتَ وجْهَك. العين للفراهيدي (2/ 114) الخَلْقُ: التقديرُ. يقال: خَلَقْتُ الأديمَ، إذا قَدَّرْتَهُ قبل القطع . ومنه قول زهير:

(ولأَنْتَ تَفْري ما خَلَقْتَ وَبَعْ ... ضُ القومِ يَخْلُقُ ثم لا يَفْري).

وقال الحجاج: **ما خَلَقْتُ إلاّ فَرَيْتُ، ولا وعدتُ إلاّ وفيتُ.**

والخَليقَةُ: الطبيعةُ ،والخَليقَةُ: الخَلْقُ. والجمع الخَلائِقُ .والخِلْقَةُ بالكسر: الفِطْرَةُ. ورجلٌ خَليقٌ ومُخْتَلَقٌ، أي تامُّ الخَلْقِ معتدِلٌ . ...الصحاح في اللغة (1/ 184)

[145] فَرَيْتُ الشيء أفْرِيه : قطعته لأصلحه. والمزادة: خلقتها وصنعتها. والأرض: سِرتُها وقطعتها . و فلان كذباً: إذا خلقه. والاسم الفِرِيَةُ .ويَفري الفريَّ: إذا كان يأتي بالعجب في عمله. وأفْرَيْتُ الأوداج: قطعتها. الصحاح في اللغة (2/ 43)

[146] المَجَمُّ : مُسْتَقَرُّ الماءِ .و.: الصَّدْرُ، لأنّه مُجتَمَعٌ لما وَعاه من عِلْمٍ وغَيْرِه . قال تَمِيمُ بن مُقْبِل :

قلِق الوَضِين[147]. رابط الجأش[148].
وهو ألْوى بعيد المُسْتَمَرّ[149].
و" شرَاب بأَنْقُع [150] ".
وهو جُذَيْلُها المحكَّك[151]. وعُذَيقُها المُرَجَّب[152]).

وَمَا اشبه هَذَا من بارع كلامهم، ومن الإيماء اللطيف، والإشارة الدّالة.

وَمَا فِي كتاب الله جلّ ثناؤه من الخطاب العالي، أكثر وأكثر. قال الله جلّ وعزّ:**{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}**[البقرة: 179]

(رَحْبُ المَجَمّ إذا ما الأَمْرُ بَيَّتَهُ... كالسَّيْفِ لَيْسَ به فَلٌّ ولا طَبَعُ)وفلانٌ واسِعُ المَجَمّ: إذا كانَ واسِعَ الصَّدْرِ رَحْبَ الذِّراعِ . ويقال: إنَّه لَضَيِّقُ المَجَمّ: إذا كانَ ضَيِّقَ الصَّدْرِ بالأُمورِ . وفى التَّكْملة للصّاغانيّ : أنشد ابنُ الأعرابيّ :

(رُبَّ ابنِ عَمٍّ لَيْسَ بابْنِ عَمّ * * بادِى الضَّغِينِ ضَيِّقَ المَجَمّ) المَجَمَّةُ : ما يَجْلِب الرّاحَةَ . وفى حديث التِّلْبِينَةِ : " فإنّها مَجَمَّة " . أي: مَظِنَّة الاسْتِراحة. [التِّلْبِينَةُ : حِساءٌ يُتَّخذُ من نُخالةٍ ولَبَن وعَسَلٍ]. بحوث ودراسات في اللهجات العربية (34/ 1) (34/ 1) (34/ 1).

[147] الوَضِين للهودج بمنزلة البِطان للقَتَب. والتصديرِ للرحل، والحزامِ للسرج. وهما كالنِسْعِ إلا أنَّهما من السُيور إذا نُسج نِساجةً بعضه على بعض مضاعفاً. والجمع وُضُنٌ. قال المثقِّب:

(تقول إذا درأتُ لها وَضيني ... أهذا دينُهُ أبداً وديني)

والوَضْنُ: نَسْجُ السَّريرِ وشِبْهِه بالجَوْهَر والثِّياب، فهو مَوْضُونٌ، وقوله تعالى: " على سُرُرٍ مَوضوْنةٍ " أي مَنْسوجَةٍ بالدُّررّ بعضُها في بعضٍ مضاعَفٍ. الصحاح في اللغة (2/ 284) العين للخليل بن أحمد (1/ 226) (2/ 26)

[148] الجأش: جأش القلب. وهو رواعه إذا اضطرب عند الفزع. يقال: فلان رابط الجأش، أي يربط نفسه عن الفرار، لشجاعته. وربيط الجأش:شديد القلب، كأنه يربط نفسه عن الفرار. والجُؤْشوشُ : الصدرُ. صحاح العربية للجوهري (5/ 142) (5/ 142)

[149] ويقولون: هو ألوى بعيد المستمر: للشرس الشديد. قاله النعمان بن المنذر لخالد بن معاوية السعدي. ومن الرجز: **(وجدتني ألوى بعيد المستمر*أحمل ما حملت من خيرٍوشر).** التذكرة الحمدونية (2/ 318)

[150] أي: معاود للأمور يأتيها مرّة بعد أخرى. إذا كان مجرّباً بالأمور معوّداً لِمراسها. ويقول الرجل للرجل: والله لأنْقَعَنّ لك من الشرّ. أي: لأُديمنّه لك. ومنه السَّمّ الناقع ،من قولهم: لأنْقَعَنّ لك شرّاً. جمهرة اللغة لابن دريد (3/ 26)

[151] الجِذْلُ: واحد الأَجْذالِ، وهي أصول الحطَب العظامُ. ومنه قول الحُبابِ بن المنذر، أنا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ. والجاذِلُ: المنتصبُ مكانَه لا يبرح، شُبِّهَ بالجِذْلِ الذي يُنْصَبُ في المعاطن لتحتكَّ به الإبلُ الجَرْبى. ويقال: فلانٌ جِذْلُ مالٍ، إذا كان رفيقاً بسياسته. والجِذْلُ المُحَكَّكُ: الذي يُنْصَبُ في العَطَن لتحتكّ به الإبلُ الجَرْبى، ومنه قول الحُباب بن المنذِر الأنصاريّ يومَ سَقيفة بني ساعدة: أنا جُذَيْلُها المُحَكَّكُ، وعُذَيْقُها المُرَجَّبُ: أراد أنه يُشْتَفى برأيه وتدبيره . الصحاح في اللغة (1/ 85) (1/ 141)

[152] والترجيب: التعظيم. وإن فلانا لمرجب. العذق بالفتح: النخلة بحملها، ومنه قول الحباب بن المنذر: " أنا عذيقها المرجب ". الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (1/ 339) (6/ 216)

و{يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ}[المنافقون: 4].

و{وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا }[الفتح: 21].

و{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}[النجم: 28].

و{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ}[يونس: 23].

و{وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ}[فاطر: 43].وهو أكثر من أن نأتي عَلَيْهِ.

وللعرب -بعد ذَلِكَ- كَلِم، تلوح فِي أثناء كلامهم، كالمصابيح فِي الدُّجى، كقولهم للجَموع للخير:

(قَثُوم[153]).

و(هذا أمر قاتِم الأعماق[154]) أسود النواحي.

---

[153] ورجل قثوم : جماع لعياله. وقثم له من العطاء قثما: أكثر. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة (1/ 257)

[154] القَتَام: وزان كلام الغبار الأسود. و(الأَقْتَمُ) شيء يعلوه سواد غير شديد و مكان**(قَاتِمُ الأعماق)** بعيد النواحي مع سوادها .يجوز حذف(رُبَّ) وبقاء عملها، بشرط أن تكون مسبوقة بالواو , أو الفاء , أو بل . وحذفها بعد الواو كثير , وبعد الفاء ، وبل قليل . فمثال حذفها بعد الواو , قول الشاعر : وقَاتِمِ الأَعْمَاقِ خَاوِى المخْتَرَقْنْ

والتقدير : وربَّ قاتمِ الأعماقِ . أي: ورُبَّ مكان قاتم الأعماق. أي: مظلم النواحي من القتام. وهو الغبار. والأعماق: ما بعد من أطراف المفازَة مستعار من عمق البئر، والخاوي: الخالي. والمخترق بفتح الراء: الطريق الواسع. لأن المار يخترقه. ومشتبه الأعلام: أي: مختلط العلامات. حاشية الخضري على ابن عقيل(1/ 52) المصباح المنير (2/ 490)

و(اقتحف الشرابَ كلّه[155]). و(فِي هَذَا الأمر مصاعبُ وقُحَم)، و(امرأة حييّة قدِعة[156]). و(تَقَادَعوا تقادُعَ الفراش فِي النار).و(لَهُ قَدَم صِدق [157]) . و(ذا أمر أنت أردته ودبّرته). و(تقاذَفَتْ بِنَا النَّوى). و(اشْتَفَّ الشراب[158]). و(لك قُرعة هَذَا الأمر): خياره. و(مَا دخلت لفلان قريعة بيت[159]). و(هو يَبْهَر القرينة إِذَا جاذبته). و(هم عَلَى قَرْو واحد) أي: طريقة. و(هؤلاء قَرَابينُ الملك)، و(هو قشع) إِذَا لَمْ يثبت عَلَى أمر. و(قشبه بقبيح): لطخه. و(صبي قصِع): لا يكادُ يشبّ. و(أقلت مَقاصِرُ الظلام)، و(قطَّع الفرسُ الخيلَ تقطيعاً) إِذَا خلَّفها. و(ليل أقعَس: لا يكاد يبرح. و(هو منزول قفر).وهذه كلمات من قرحة واحدة، فكيف إِذَا جال الطرف فِي سائر الحروف فجالَه؟. ولو تقصينا ذَلِكَ ،لجاوزنا الغرض، **ولما حوته أجلاد[160]، وأجلاد[161].**

---

[155] اقْتَحفْتُ الشّرابَ: إذا شربتَ كلَّ ما في الإناء . الاشتقاق لابن دريد (ص: 16). ويقال: اقتحفَ ما في الإناء: إذا شربه أجمع . ولما بلغ أمرأ القيس قتل أبيه وهو يشرب قال: "**اليومَ خمر وغداً أمر، اليومَ قِحاف، وغداً نِقاف**". جمهرة اللغة لابن دريد (6/ 141).

وبنو قُحافَة : بطنٌ من خَثْعَم . وقال الليث: رجل نَقّاف ؟بالفتح والتشديد - : صاحب تدبير للأمر ونظر في الأشياء، ويقال: نِقَافٌ ؟بالكسر. وقالَ اللَّيْثُ : المُنَاقَفةُ والنِّقافُ : هي المُضارَبَةُ بالسُّيُوفِ علَىَ الرُّؤُوس. ثم يَكُونُ النَّقْفُ والنَّقَافُ: أي : القَتْلُ والقِتالُ. أَي : تَهِيجُ الفِتَنُ والحُروبُ بَعْدَهم العباب. الزاخر للصاغاني (2/ 27)-

[156] وامرأةٌ قَدِعَةٌ: قليلة الكلام حيِيَّةٌ. الصحاح في اللغة (2/ 65) القَدْعُ: كَفُّك انسانا عن الشَّيْء بيدِك أو بلسانِك أو برأْيِك فَيَنْقَدِعُ لمكانك، قال: قِياما تَقْدَعُ الذِّبّانَ عَنْها ... بأذْنابٍ كأجْنِحَةِ النُّسور. وامرأة قَدِعَةٌ: قليلة الكلام كثيرة الحياء. ونسوةٌ قَدِعاتٌ. والتَّقَادُعُ: التَّهافُتُ في الشَّيْءِ كَتَهافُتِ الفراش في النَّار. وتَقَادَعَ القَوْمُ: إذا مات بعضُهم في إثْر بَعْضٍ. العين للخليل بن أحمد(1/ 27).

[157] قال ذو الرمّة : لكم قدمٌ لا ينكر الناس أنها مع الحسب العاديّ طمّت على الفخر. أساس البلاغة (2/ 228)

[158] ويقال: اشْتَفَّ ما في الإناء: أي: شَرِبَه كله حتى الشُّفافَةَ.

[159] قال أبو عبيدة: يقال ما دخلت لفلان قريعة بيت قط. أي: سقف بيت. المنطق للسكيت (ص: 214) ويقال قريعَةُ البيتِ: خيرُ موضعٍ فيه، إن كان بردٌ فخِيارُ كِنّه، وإن كان حَرٌّ فخيارُ ظِلّه. والقَريعَةُ مثل القُرْعَةِ، وهي خيارُ المال. العباب الزاخر للصاغاني (1/ 448)الصحاح في اللغة (2/ 72)

[160] والجَلَدُ: ما صلب من الأرض واستوى متنه. والجميع أجلادٌ. العين للخليل بن أحمد (1/ 471)

[161] الصاحبي في فقه اللغة (1: 6) (1: 5)

الترادف في اللغة العربية :

ومن القصص والآثار التي تؤكد وجود الترادف في اللغة العربية، ما روى: أن رجلا كأبي هريرة لا يعرف كلمة السكين، لأنه من قبيلة(أزد) ودَوسٌ بطن من الأزد. فالسكين لغة في المدية.

والمدية: لغة في السكين عند دوس. عن أبى هريرة قال قال رسول الله(ε):"بينما امرأتان نائمتان، معهما ولدان لهما، عدا الذئب عليهما، فأخذ ولد إحدهما، فاختصما إلى داود في الباقي، فقضى للكبرى منهما، فخرجنا فلقيهما سليمان بن داود، فقال:" ما قضى به الملك بينكما ". قالت الصغرى:" قضى به للكبرى". فقال سليمان: "هاتوا السكين لنشقه بينكما".

قالت الصغرى:" هو للكبرى دعه لها".

فقال سليمان: هو لك. خذيه" يعني: الصغرى حين رأى رحمتها عليه. قال أبو هريرة: "وما سمعت بالسكين قط، إلا يومئذ، من رسول الله (ε). ما كنا نسميها إلا المدية [162]".

فقد تكون قبيلة استعملت كلمة لم تستعملها الأخرى، أو استعملت غيرها، خصوصاً وان بعض البيئات الطبيعية والاجتماعية لقبيلة قد تخالف ما للقبيلة الأخرى، فقبيلة على الساحل وأخرى في جبل، وثالثة في بادية، وقد تأخذ قبيلة اسماً من الأعاجم لشيء لم يعرف اسمه عندها فتعربه، فيكون اسماً له، وقد تأخذ قبيلة اسماً أو أسماء توجد في لسانها من لسان قبيلة أو ألسنة قبائل أخرى.

فلما جمع علماء اللغة ألفاظ العربية ودونوها، ولم يفطنوا إلى أصلها، ولا إلى القبائل التي استعملتها، ولا إلى تأريخها، لعدم وجود هذا النحو من البحث عندهم، في ذلك الوقت، فدونت على أنها مترادفات، وهم في ذلك على صواب،

[162] أخرجه عبد الرزاق (362/7، رقم 13483) .

ولكنهم كانوا على خطأ، من حيث انهم لم يدركوا أنها كانت لغات قبائل، وإن جمعهم للألفاظ، وإهمالهم الإشارة إلى أسماء القبائل المتكلمة بها، جعلها مترادفات بالمعنى الذي ذهبوا هم إليه.

وبذلك اتسعت مادة مفردات المعجم العربي اتساعاً كبيراً، وهو -في حقيقته- حاصل جمع لهجات ، أخذ من اختلاف الألسنة ، ومن مختلف اللهجات ، فضم كله إلى معجم العربية، وظهر على أنه مفردات هذه العربية، لعدم إفصاح علماء اللغة عن أصل كل مترادف ، وعن اللسان الذي نطق به في الغالب، فعمي الأمر علينا. وصرنا نعتبر هذه الألفاظ التي تقصد مسمى واحداً من المترادفات[163]"

اختلاف لغات العرب وأساليبها

واختلاف لغات العرب من وجوه:

1-: **الاختلاف فِي الحركات**. كقولنا: " نَستعين " و " نِستعين " بفتح النون وكسرها. قال الفرَّاء: هي مفتوحة فِي لغة قريش، وأسدٌ وغيرهم يقولونها بكسر النون.

2-: **الاختلاف فِي الحركة والسكون**. مثل قولهم: " معَكم " و " معْكم " أنشد الفرّاء: ومَنْ يتَّقْ فإنّ الله معْهُ ... ورزق الله مُؤْتابٌ وغادِ

3-: وهو الاختلاف فِي إبدال الحروف . نحو: " أولئك " و " أُولالِكَ " . أنشد الفرّاء:

أُلا لِك قومي لَمْ يكونوا أُشابَةً ... وهل يعِظُّ الضِّلّيلَ إلا أُلالكا

ومنها قولهم: " أنّ زيداً " و " عَنّ زيداً " .

ومن ذَلِكَ: الاختلاف فِي الهمز والتليين نحو " مستهزؤن " و " مستهزُوْن " .

---

[163] المفصل في تاريخ العرب(15/ 391)

4-: الاختلاف فِي التقديم والتأخير. نحو " صاعقة " و " صاقعة " .

5-: الاختلاف فِي الحذف والإثبات. نحو " استحيَيْت " و " استحْيت " و " وصدَدْت " و " أَصْدَدْت" .

6-: الاختلاف فِي الحرف الصحيح يبدلُ حرفاً معتلاً. نحو " أما زيد " و " أَيْما زيد" .

7-: الاختلاف فِي الإمالة والتفخيم. فِي مثل " قضى " و "رمى " فبعضهم بفخّم وبعضهم يُميل.

8-: الاختلاف فِي الحرف الساكن يستقبله مثله. فمنهم من يكسر الأول ومنهم من يضمّ، فيقولون: " اشتَرَوُ الضلالة " و " اشتَرَوِ الضلالة " .

9-: الاختلاف فِي التذكير والتأنيث. فإن من العرب من يقول " هَذِهِ البقر ". ومنهم من يقول " هَذَا البقر " و " هَذَا النخيل " و " هَذَا النخيل " .

10-: الاختلاف فِي الإدغام. نحو " مهتدون " و " مُهَدُّون " .

11-: الاختلاف فِي الإعراب. نحو :" مَا زيدٌ قائماً " و " مَا زيدٌ قائم " و " إنّ هذين " و " إنّ هذان " وهي بالألف لغة ل بني الحارث بن كعب. يقولون لكلّ ياء ساكنة انفتح مَا قبلها ذَلِكَ. وينشدون قول (هوبر الحارثي):

تزوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أذناه ضربةً ... دَعَتْه إِلَى هابي التراب عقيمِ

والهابي: تُرابُ القَبْرِ. **أذناه**: هي لغة كنانة وبني الحارث بن كعب وبنى العنبر وبنى بكر بن وائل وزبيد وخثعم وهمدان وعذرة. وأنكرها المبرد - أبو العباس محمد بن يزيد - وهو محجوج بنقل الأئمة قال الشاعر: **(تزوَّدَ منا بين أُذْناه طعنة)** فبين: مضاف. وأذناه: مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على الألف للتعذر ....وخرج عليها قوله تعالى:(إن هذان لساحران) طه 63 وقوله "لا وتران في ليلة".

وذهب بعض أهل العلم إِلَى أن الإعراب يقتضي أن يقال: " إن هذان ". قال: وذلك أن " هَذَا " اسم منهوك. ونُهْكهُ أنه عَلَى حرفين: أحدهما: حرف علة وهي الألف. وها: كلمة تنبيه ليست من الاسم فِي شيء. فلما ثُنّي احتيج إِلَى ألف التثنية، فلم يوصل إليها لسكون الألف الأصلية، واحتيج إِلَى حذف أحديهما، فقالوا: إن حذَفنا الألف الأصلية بقي الاسم عَلَى حرف واحد، وإن أسقطنا ألِفَ التثنية كَانَ فِي النون منها عوض ودلالة عَلَى معنى التثنية، فحذفوا ألف التثنية.

فلما كَانَتْ الألف الباقية هي ألف الاسم، واحتاجوا إِلَى إعراب التثنية - لَمْ يغيروا الألف عن صورتها. لأن الإعراب واختلافه فِي التثنية والجمع، إنما يقع عَلَى الحرف الَّذِي هو علامة التثنية والجمع، فتركوها عَلَى حالها فِي النصب والخفض.

قال: ومما يدلّ عَلَى هَذَا المذهب قوله جلّ ثناؤه: " فذانك برهانان من ربّك ". لَمْ تحذف النون - وَقَدْ أضيف - لأنه لو حذفت النون لذهب معنى التثنية أصلاً، لأنه لَمْ تكن للتثنية ها هنا علامة إِلاَّ النون وحدها، فإذا حذفت أشبهت الواحد لذهاب علامة التثنية.

12-: الاختلاف فِي صورة الجمع نحو " أسرى " و " أُسارى " .

13-: الاختلاف فِي التحقيق والاختلاس. نحو " يأمُرُكم " و " يأمُرْكم " و " عُفِيَ لَهُ " و " عُفْي لَهُ " .

14-: الاختلاف فِي الوقف عَلَى هاء التأنيث. مثل " هَذِهِ أُمَّهْ " و " هَذِهِ أمَّتْ ".

15-: الاختلاف فِي الزّيادة. نحو " أَنْظُرُ " و" أَنظورُ " . أنشد الفراء:

الله يعلم أَنَّا فِي تلفُّتنا ... يوم الفراق إِلَى جيراننا صُورُ

وأَنَّني حَيْثُ مَا يَثْنِي الهوى بَصري ... من حَيْثُ مَا سلكوا أدنو فأنظورُ

وكلّ هَذِهِ اللغات مسماة منسوبة إِلَى أصحابها، لكن هَذَا موضع اختصار، وهي وإن كَانَتْ لقوم دون قوم فإنها لما انتشرت تَعاوَرَها كلٌّ.

16-: **اختلاف التضادِ.** وذلك قول حِمْيَر للقائم: " ثبْ ". أي: اقعد. روي أن عامر بن الطُّفيْل قدم عَلَى رسول الله(ε) فَوَثَّبَهُ وِسادة، يريد فرشه إياه، وأجلسه عَلَيْهَا. والوِثاب: الفراش بلغة حِمْيَر. قال: وهم يسمّون الملك إِذَا كَانَ لا يغزو "موثَبان ". يريدون: أن يطيل الجلوس ولا يغزو. ويقولون للرجل " ثب " أي: اجلس. وروي: أن (زيد بن عبد الله بن دارِم) وفد عَلَى بعض ملوك حِمْيَر، فألْفاه فِي مُتَصَيَّد لَهُ عَلَى جبل مُشْرِف، فسلم عَلَيْهِ، وانتسب له، فقال لَهُ الملك: " ثب". أي: اجلس. وظن الرجل أنه أمره بالوثوب من الجبل، فقال: " لتجدني -أَيُّها الملك! مِطْواعاً ". ثُمَّ وثب من الجبل فهلك . فقال: الملك: " مَا شأنه؟ "

فخبّروه قصته، وغلطه فِي الكلمة، فقال: **" أما أنه ليسَ عندنا عَرَبِيَّتْ! مَنْ دَخَلَ ظَفارِ**[164] **حَمَّرَ ".** أي: فَلْيُحَمِّرْ. وفي لسان العرب(1/ 792): ورواه بعضُهم: **"ليس عندنا عَرَبيَّة كعَرَبِيَّتكُم ".** قال ابن سيده: وهو الصواب عندي. لأَنَّ الملك لم يكن لِيُخْرِجَ نَفْسَه من العرب، والفعل كالفعل، والوِثابُ: الفِراشُ بلغتهم ويقال وثَّبْتُه وِثاباً :أَي فرَشْت له فِراشاً . وتقول وَثَّبَهُ تَوْثِيباً :أَي أَقْعَدَه على وِسادة . وربما قالوا: وثَّبَه وسادةً. إِذا طَرَحها له ليَقْعُدَ عليها.

وفي الخصائص لابن جني(2/ 28): "روينا عن الأصمعيّ: أن رجلا من العرب دخل على ملِك(ظَفَارِ) وهي مدينة لهم يجئ منها الجَزْع الظفاريّ . فقال له الملك:" ثِبْ [165]". فوثب الرجل فاندقَّت رِجْلاه، فضحك الملك، وقال:" ليست عندنا عَرَبِيَّتْ. من دخل ظَفَارِ حمَّرِ". أي: تكلم بكلام حْمِيرَ. **قال الأصمعي "حمر": تكلم بكلام حمير. وقوله:(عربيت) يريد العربية، فوقف على الهاء بالتاء، وكذلك لغتهم .** ويقولون للملك إذا قعد ولم يغز: موثبان. وتقول: وثبه توثيبا. أي: أقعده

---

[164] الصاحبي في فقه اللغة (ص: 7) وظفار المدينة الَّتِي كَانَ بِهَا، وإليها ينسب الجَزْع الظفَّاري . من دَخل ظفار فليتعلم الحميرية.

[165] وثب بالحميرية: اجلس .

على وسادة، وربما قالوا: وثبه وسادة : إذا طرحها له، ليقعد عليها[166]. وقولهم: "من دخل ظفار حمر". أي: تكلم بكلام حمير. فأخرج مخرج الخبر . وهو أمر. أي: فليحمر[167]. وذهب كلامه مثلا. ففي مجمع الأمثال للنيسابوري(2/ 306):**(مَنْ دَخَلَ ظَفَارِحَمَّرَ)**. يضرب للرجل يدخل في القوم فيأخذ بزيهم. ظَفَارِ: قرية باليمن يكون فيها المغرة. وقيل: كل أَرض ذات مَغَرّةٍ ظَفارِ. والمَغْرَةُ: الطينُ الأحمرُ، وقد يحرَّك. والأَمْغَرُ: الأحمرُ الشعرِ والجلدِ، على لون المَغْرَةِ [168]. وحمّر: تكلم بالحميرية. ويُقَال: معناه صبغ ثوبه بالحمرة، لأن بها تعمل المغرة. وظفار : مبنى على الكسر. مثل قَطَامِ وحَذَامِ[169].

أسلوب التحقيق والتخفيف في الهمز:

وأساليبها كثيرة، وهي من مضامين الأحرف السبعة -كتحقيق الهمز وتخفيفه ، ومما يوضح هذه القضية ، أن لغة القرآن قد نهجت أسلوبين متوازيين: 1-أسلوب التحقيق في الهمز. 2-أسلوب التخفيف . قال أبو زيد: أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة وأهل المدينة لا ينبرون. وقف عليها(عيسى بن عمر[170])،

---

[166] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (2/ 83)

[167] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (3/ 476)

[168] الصحاح في اللغة (2/ 176)

[169] لسان العرب (4/ 517)

[170] **(149 هـ = 766 م) عيسى بن عمر الثقفي** بالولاء، النحوي البصري. أبو سليمان: من أئمة اللغة. معلم النحو ، وهو شيخ الخليل، وسيبويه، وابن العلاء. وأول من هذب النحو ورتبه . وعلى طريقته مشى سيبويه، وأشباهه. وهو من أهل البصرة . ولم يكن ثقفيا، وإنما نزل في ثقيف، فنسب إليهم، وسلفه من موالي خالد بن الوليد المخزومي . وكان صاحب تقعر في كلامه، مكثرا من استعمال الغريب . **عرض القرآن** على عبد الله بن أبي اسحاق وعاصم الجحدري . وأثبت الحافظ أبو العلاء قراءته على الحسن . ولا شك أنه سمع منه . وروى عن ابن كثير وابن محيصن حروفاً . وله اختيار في القراءات على قياس العربية. روى القراءة عنه أحمد بن موسى اللؤلؤي ...والخليل بن أحمد وشجاع البلخي. قال أبو عبيد القاسم بن سلام: كان من قراء البصرة. له نحو سبعين مصنفا احترق أكثرها، منها "الجامع " و " الإكمال " في النحو، قال الأنباري: لم نرهما ولم نر أحدا رآهما . وفيات الأعيان 1: 393 وإرشاد الأريب 6: 100 وخزانة الأدب للبغدادي 1، 56 ونزهة الألباء 25 وصبح الأعشى 2: 232 وطبقات النحويين للزبيدي 35 - 41.الأعلام للزركلي (5/ 106)

فقال: **ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر-وهم أصحاب النبر- وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا**[171]". كما روي: أن الحسن البصري قال يومًا لبعض جلسائه: توضيت. فقيل له : أتلحن يا أبا سعيد؟. فقال:" **إنها لغة هذيل، وفيهم نشأت**[172]".

وفي محاورة لابن جني قال:" **ترك الهمز لغة هذيل**[173] ". وذلك أن النطق بالهمزة المسهلة- على اختلاف ألوانه -لا يحتاج إلى كبير عناء، وكذلك فهو يتناسب مع الطبيعة الحضرية، التي تمتاز بالرقة والسهولة في كل شيء، كما أن البيئة الحضرية تقرب فيها المسافات، فلا حاجة إلى رفع الصوت، وإبرازه[174]".

فمال الحضريون إلى التسهيل، الذى يتفق مع طبيعتهم. وذلك، لما كانت الهمزة صعبة النطق، ثقلت على لسان المتلفظ بها، حتى إن الإمام الرضى ت(686) هـ يقول: "اعلم. أن الهمزة لما كانت أدخل الحروف في الحلق، **ولها نبرة كريهة**، تجرى مُجرى التهوُّع، ثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها[175] ". ويورد ابن يعيش(ت643هـ) مضمون هذا الكلام مذيلاً له بقوله:" فلذلك من الاستثقال ساغ فيه التخفيف-وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز-وهو نوع استحسان لثقل الهمزة، **والتحقيق لغة تميم وقيس**[176]" .

وأما قول عيسى بن عمر:(وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا): فربما كان معناه: أنهم حين يضطرون إلى التحدث باللغة المشتركة، فإنهم يلتزمون سماتها، التي منها تحقيق الهمز، أو يكون الاضطرار-هنا-وقوع الهمزة في أول الكلام. وهي في

---

[171] اللسان(المقدمة) 26/1 والنبر : معناه الهمز .

[172] تاج العروس 134/1، و تاريخ الأدب العربي 246/1 للرافعي .

[173] المخصص 54/5 .

[174] الظواهر اللغوية في لغة الإمام الشافعي، د0 صلاح عيطة، 76، ط0 مطبعة الرضا، الأولى، 1410هـ/1989م0

[175] شرح الشافية 31/3، 32، و المقاييس(همز) 65/6 0

[176] شرح المفصل 1070/9 مكتبة المتنبي القاهرة .اللغوي في تهذيب اللغة للأزهري(10/ 6)

هذه الحالة لابد من تحقيقها عند جميع العرب[177] ". وأقوى ما اضطر الحجازيين إلى الهمز، نزول القرآن الكريم به، قال علي بن أبى طالب: **"نزل القرآن بلغة قريش، وليسوا بأصحاب نبر ، ولولا أن جبرائيل -عليه السلام- نزل بالهمزة ،على النبي(ع) ما همزنا**[178] **".**

[177] خصائص لهجتي تميم وقريش، د0 الموافي، 62، ودراسات في فقه اللغة د0 صبحى الصالح، 0،78

[178] حياة اللغة العربية حفني بك ناصف، 13، العرب والعربية، السيد عبد الرحمن العيدروسي 135